سلسلة روايات

فارس الزمن

العدد الثاني

تحت القصف

بقلم
م/ محمد البديوي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

عندما تنطلق بسرعة الضوء..
يتوقف الزمن..
وتتلاشى المسافات..
وتختفي الحواجز..
ويتساوى الماضي والمستقبل..
داعب هذا الحلم خيال الكثيرون..
غير أن أحدًا لم يستطع تحقيقه..
رجل واحد فعل..
وانطلق يطارد الشر أينما كان..
من الماضي السحيق..
إلى المستقبل البعيد..
إنه فارس الزمن..

محمد البديوي

١- تحت القصف..

قصف وحشي من البر والبحر والجو حول العاصمة العراقيه بغداد إلى ما يشبه الجحيم، الجثث تفترش الشوارع الدماء والأشلاء في كل مكان، الآلاف دفنوا تحت الأنقاض، صيحات الرعب والهلع امتزجت بدوي الانفجارات المساجد المدارس الجامعات المستشفيات حتى ملاجئ الأيتام ورياض الأطفال ودور المسنين لم تسلم من القصف الجنود في كل مكان يوجهون الناس للملاجئ الارضيه وآخرون أخذوا في إطلاق نيران مضاداتهم الأرضيه في محاولة يائسة لفعل أي شيء.

ووسط هذا الجحيم انطلقت صرخات بريئة من طفلة لم تتجاوز الثالثة من عمرها، وقد حملها أبوها وأخذ يركض محاولًا الفرار بها من هذا الأتون المشتعل، غير أن أحد قذائف العم سام لم تمكنه من ذلك، ومزقته بوحشية إلى أشلاء، فلم يكن من جسدها الرقيق إلا أن طار في الهواء وسقط بجوار إحدى البنايات المشتعلة في نفس الوقت الذي تطايرت فيه كتل خرسانية ضخمة من أحد المنازل بعد أن مزقه القصف،

وتوجهت إحداهما مباشرة إلى حيث ترقد الطفله عدة أطنان سترتطم بعد ثواني معدودة بالأرض وتسحل جسدًا رقيقًا لا يتجاوز الكيلو جرامات وبدا الموت مؤكدًا لتلك الزهرة البريئة يزحف نحوها بسرعه رهيبة وكأن آلاف القنابل والقذائف والصواريخ لا تكفي للقيام بتلك المهمة الشيطانية، وبينما الوضع هكذا وبينما المسكينة تنتظر قدرها المحتوم إذا بمن يركض بأقصى سرعه قافزًا بجسده في الهواء سابحًا فيه عدة أمتار قبل أن يهبط منقضًا عليها، وقد احتواها بذراعيه جاعلًا من جسده درعًا بشريًا لها، وأخذا في التدحرج على الأرض عدة مرات قبل أن ترتطم، وعلى بعد عدة سنتيمترات منه أذنيه كتلة خرسانية ضخمة محدثة دويًا أشبه ما يكون بدوي الانفجارات المتلاحقة هنا وهناك، وبسرعة خاطفة حملها ذاك المنقذ وأخذ يركض بها نحو أحد الملاجئ الأرضية، غير أن القصف حاصره فاحتمى خلف إحدى البنايات المهدمة، وأخذ يتفحص الطفلة التي استبد الرعب بكيانها الصغير، بحيث أفقدها القدرة حتى على مجرد البكاء، وفجأة وبلا سابق إنذار انطلقت تجري في أحد الاتجاهات وقد استعادت

جميع حواسها دفعة واحدة بعد أن سمعت أكثر الأصوات ألفة لها في هذا العالم يصرخ بلوعة هاتفًا باسمها:

- «فاطمة فاطمة ابنتي» وكانت الأم على الجانب الآخر من الشارع تبحث عن طفلتها بجنون وما أن رأتها حتى أخذت تصرخ بشكل هستيري وإنطلقت نحوها كالمجنونة تعبر الشارع غير عابئه بما يتهددها من أخطار وموت محقق قد يفاجأها في أي لحظة والتقطت فلذة كبدها وضمتها لصدرها بكل شوق الدنيا وهي تصرخ قائلة:

- حمدًا لله ياحبيبتى أنك بـ..... ولم تستطع أن تكمل فلقد كانت تلك آخر كلماتها في هذا العالم..... هذا العالم المليء بالشرور والأحقاد..... هذا العالم المليء برعاة البقر، نعم لقد تحولت فاطمة وأمها إلى أشلاء تناثرت عبر الشارع بعد أن أصابتهم قذيفة صاروخية أمريكية إصابةً مباشرة..... مباشرة جدًّا.

وهنا انتفض الرجل الذي كان يراقب ما يحدث وقد تفجرت براكين الغضب بعروقه وهو يصرخ قائلًا:

- سأمزقكم أيها الخنازير، وأخذ يركض والقذائف تنهمر من حوله وكأنها تريد وبإصرار اقتناصه انتقامًا لما قال، وفجأة تحول إلى حزمة ضوئية كبيرة اخترقت الهواء واختفت عن الأنظار بسرعة مذهلة بسرعة رهيبة بسرعة الضوء.

على طريق مصر- الإسكندرية الصحراوي انطلقت إحدى السيارات النفاثة تشق طريقها صوب القاهرة بسرعة ٦٠٠ كيلو متر في الساعة، بارتفاع مترين عن الأرض، وكان يجلس خلف عجلة القيادة دكتور مدحت توفيق أخصائي جراحة القلب والشرايين بمستشفى القصر العيني، وقد استرخى بجسده المكتظ على كرسي القيادة المصنوع من مادة أطلق عليها مخترعها -وكان أحد علماء الكيمياء الفلسطينيين- اسم «وسائد عدن» وهي مادة شديدة النشاط الكيميائي، بحيث إذا ما تم التأثير عليها بضغطًا ما أيا كان هذا الضغط صغيرًا فإن الذرات داخل جزيئات تلك المادة تستثار بشكل كبير وتتذبذب حول مدراتها محدثة حركة اهتزازاية سريعة للجزيئات ولا تتوقف تلك الحركة إلا إذا

توقف الضغط، وهكذا أخذ دكتور مدحت توفيق يحظى بعملية تدليك مستمرة زادت من استرخاؤه وهو في طريق عودته لمنزله بعد أن أجرى عدة عمليات ناجحة بمستشفاه الخاص بمدينة الإسكندرية، ووسط حالة الاسترخاء تلك قام بالضغط على أحد الأزرار فتحرك تابلوه السيارة إلى جزئين وخرج من تجويفه وبحركة آلية هادئة شاشة صغيرة تشبه إلى حدٍ ما شاشة أجهزة الكمبيوتر في القرن العشرين، ثم تحدث قائلًا:

- صلني بالمنزل.

وعلى الفور أضائت الشاشة وظهرت من خلالها امرأة بدأت الحديث قائلة:

- كيف حالك يا مدحت وكيف سارت الأمور معك اليوم بغرفة العمليات؟

مدحت: حمدًا لله يا منى لقد كان يومًا شاقًا لكنه كان موفقًا بفضل الله كيف حالك أنتِ والأولاد؟

منى: الحمد لله كل شيء على ما يرام.

مدحت: هل حضر الضيوف؟

منى: نعم لقد حضر الجميع وكلنا في انتظارك.

ابتسم بهدوء وأردف قائلًا:

– وهو كذلك فقط تسع دقائق وأكون معكم إن شاء الله، ثم أنهى الاتصال مع زوجته.

وأخذ يتابع الطريق من خلال تلك الشاشة والتي كانت عبارة عن جهاز «فيمتو سكرين» وهو جهاز اتصال وتتبع عن طريق الأقمار الصناعية، وهو بمثابة التليفون في القرن العشرين، وفجأة تسمرت عيناه وهو يحدق بشيء ما على الشاشة، ولم تلبث عيناه أن اتسعت حين رأى شيء غامض يتحرك بسرعة مذهلة متجهًا مباشرة نحو سيارته، وازدات دهشته وتحولت إلى خوف..... خوف حقيقي حين ظهرت على شاشة الجهاز رسالة تقول «لاتوجد معلومات متوفرة»، وبمنتهى التوتر والارتباك ضغط على أحد الأزرار ونظر إلى الطريق من خلف زجاج السيارة المصنوع من ألياف الكربون، وكاد يصاب بأزمة قلبية حين رأى هذا الشيء الغامض المتوهج يقترب منه بسرعة مذهلة في طريقه نحو الاصطدام بسيارته، وبحركة لا إرادية ضغط على زر تشغيل

السائق الآلي فانحرفت السيارة بغتة وبشكل حاد إلى اليسار ودارت حول نفسها دورة كاملة قبل أن يمر هذا الوهج الغامض بالقرب منها بسرعة خرافية، ويراه مدحت من خلف زجاج سيارته أشبه ما يكون بقذيفة ليزرية انطلقت من مكان ما قاصدة سيارته، ثم توقف محركها الذي يعمل بالهيدروجين الذري وهبطت وما أن لامست سطح الأرض حتى انفتح بابها الكترونيًّا بحركة سريعة، وهنا قفز مدحت بخفة ورشاقة لا تتناسب مطلقًا مع ضخامة جسده إلى خارج السيارة وأخذ يركض في الصحراء المترامية الأطراف أمامه، وقد استبد به الخوف والهلع ولم يمكنه جسده المكتظ والرمال التي أعاقت حركته من الابتعاد سوى بضعة أمتار قبل أن تخونه قدماه ويهوي بجسده فوق الرمال، وقد أخذ يبحث عن أنفاسه بصعوبة بعد أن استلقى على ظهره ليجد السماء أمامه وقد تناثرت بها النجوم وسط سكون الصحراء المطبق، وظل هكذا لبضعة دقائق حتى هدأ واستعاد أنفاسه ثم نهض وأخذ ينظر لسيارته وقد استقرت على الأرض، وفي الوقت الذي أخذت السيارات الأخرى تنطلق كالومضات في هذا السكون، وقف مرتبكًا لا يعرف ماذا يفعل هل يرجع

لسـيارته ويكمل طريقه ويتناسى ما حدث، أم ينتظر ويطلب المساعدة؟

وبعـد صراع اسـتمر لعـدة دقائق قـرر الرجـوع، فتقدم نحوالسيارة ببطأ وحذر بعد أن زال عنه بعض خوفه حين رأى الأمور تجري أمامه بشكل طبيعي، كان باب السيارة قد أغلق الكترونيًّا فور خروجه منها، وهم أن يفتحه لولا أنه تسـمر في مكانه حين وقع بصره على شيء ما على بعد عدة خطوات منه، لم يسـتطع في هذا الظلام أن يحـدد ماهيته فاقترب منه ليتعرف عليه وصعق عندما رأى رجلًا ملقى على الأرض فاقد الوعي، أخذ يحدق فيه بذهول وقد تدافعت الأسـئلة إلى رأسه بسرعة رهيبـة مـن أين جاء؟ هل سـقط من السـماء؟ أم انشـقت عنه الأرض؟ مـاذا أفعل؟ هل يمكن أن... غير أن غريزة الطبيب حسـمت الأمر حين جثـا على ركبتيه وأخـذ يتفحص الرجل الذي بدا وسـط هذا الظـلام بلا نزيف أو كسـور، فبحث في ملابسه عن أي شيء يثبت هويته لكنه لم يجد ما يفيده، فحمله وبـذل في ذلـك مجهود خرافي حيث كان الرجـل طويل القامة ضخـم البنية ولم تتعود عضلات جراح القلوب على مثل هذا

المجهود الشاق، ولكنه في النهاية استطاع أن يدخله للسيارة ولم يكد يفعل حتى صاح وهو يتلقف أنفاسه قائلًا:

– صلني بمستشفى الشفاء للطوارئ، وما هي إلا عدة ثواني حتى أضاءت شاشة «الفيمتو سكرين» وظهر عبرها أحد الأطباء وهو يقول:

– قسم الطوارئ معك هل تستطيع أن تصف لي الحالة؟

مدحت: معي حالة إغماء لرجل في منتصف الثلاثينيات وأشتبه في كونها نزيف داخلي.

الطبيب: هل تستطيع ياسيدي أن تنزع ملابسه وترى إن كان ينزف من مكان ما بجسده وتـ..... قاطعه مدحت قائلًا: أنا أخصائي في جراحة القلب والشرايين ولقد قمت بالفحص المبدئي ولم أجد شيء من ذلك.

الطبيب: حسنًا أخبرني إذًا بنوع فصيلة الدم والحالة الـ..... قاطعه مدحت قائلًا: إنه شخص مجهول الهوية ثم أخذ يتفحصه ثانية قبل أن يردف قائلًا بتوتر: سأكون عندكم في غضون ثلاث دقائق من الآن.

الطبيب: وهو كذلك سنتخذ اللازم فورًا.

أنهـى مدحت الاتصال ثم غرق في بحر من التسـاؤلات مـن هذا الملقي بجانبه؟ وكيف حـدث له ذلك؟ ومن فعل به هذا؟ وكيف وكيف وكيف عشرات الأسـئلة أخذت تطارده بـإصرار فلقـد كان يتوقع بعد يوم شـاق ومرهق في العمل أن يهنأ بأمسـية هادئة مع عائلته وأقاربه في احتفالهم بختم أصغر أبنائـه للقـرآن الكريم، ولكنه الآن يجد نفسـه أبعـد ما يكون ذلك.

٢- سبق صحفي..

بأحد المباني الشاهقة المطلة على نيل القاهرة الساحر، كان يقع مقر جريدة الحرية، وكان المكان من الداخل عبارة عن خلية نحل، فالجميع يقوم بعمله بنظام وحماس ودقة متناهية، وبغرفة الاجتماعات الرئيسية اجتمع رئيس التحرير بأعضاء هيئة التحرير في اجتماع إسبوعي، استغرق ما يزيد عن الساعتين والنصف، قبل أن يفتح باب النقاش وكانت آخر من تحدثت هي سلوى محفوظ المحررة بقسم التحقيقات، وكانت فتاة في أوائل العشرينات من العمر، ترتدي الحجاب، شأنها شأن جميع المحررات في الجريدة، وقد حباها الله بجمال صارخ، بالإضافة إلى ذكاء متقد وحماس شديد ورغبة جارفة في البحث عن الحقيقة، وبدت ملامحها الحاده تعكس ماتتميز به من إصرار وتحدي وبالرغم من حداثة سنها إلا أنها تحظى باحترام وإعجاب الجميع، وعلى رأسهم رئيس التحرير الذي بدا يتابعها باهتمام وهي تتحدث بثقة وحماس من بين الأماكن المخصصة لجلوسهم المحررات قائلة:

– سيدي رئيس التحرير تعلم كما يعلم الجميع أن القضية التي طالما أثير حولها الجدل في السابق وهي قضية التنقل عبر الزمن، تلك التي فجرها ثانية أحد أشهر علماء الفيزياء الضوئية في العالم، وهو عالمنا الكبير الدكتور صادق عز الدين لم تحسم بعد فكيف تتوقف الجريده فجأه عن تناول تلك القضية التي تجذب اهتمام العالم بأسره؟

ارتسمت على وجه رئيس التحرير ابتسامة أبوية وهو يقول:

– لكن يا أستاذة سلوى إن الجريدة لم تتوقف عن ذلك إلا بعد أن أعلن دكتور صادق بنفسه أنه تخلى عن مشروعه هذا.

سلوى: ولم توقف؟ أليس هذا سؤال جدير بالبحث له عن إجابة؟ ثم واصلت حديثها بحماس وأصرار وقد جذبت انتباه الجميع أن دكتور صادق هو أشهر عالم فيزياء ضوئية على سطح هذا الكوكب، وهو مخترع منظومة شبكة الردع الفضائي تلك التي قضت تقريبًا على الجريمة في الولايات

المتحدة العربية والعالم بأكمله، وبالتأكيد لم يتوقف الرجل إلا عندما هاجمته بعض الجرائد واتهمته بالخيال واللامعقولية.

رئيس التحرير:

– أعلم يا سلوى أنكِ بذلت مجهود كبير في هذه القضية ولقد كانت تحقيقاتك بالفعل تسعد الجماهير، ولكن الأمر الـ.....قاطعته بهدوء:

– كل ما أطلبه ياسيدي هو إعطائي فرصة لإكمال آخر تحقيق عن تلك القضية، وبعدها لن أثيرها مرة أخرى، ولم يجد رئيس التحرير أمام حماسها وإصرارها سوى الموافقة قائلًا:

– وهو كذلك يا سلوى، ولكن لا تتوقعي أي مساندة من الدكتور صادق، خصوصًا بعد أن هاجمته بعض الصحف كما أشرت أنتِ.

سلوى وقد بدا على وجهها علامات الارتياح:

– شكرًا لك يا سيدي سأكون دائمًا عند حسن ظنك.

وانفض الاجتماع وسط إعجاب الجميع بتلك الشابة العنيدة، وكان من بينهم بل أشدهم على الإطلاق شاب في

منتصـف العشرينات قـوى البنيـة مفتول العضلات بشـكل ملحـوظ وقـد بدت عينـاه تتوسـلان وتسـتعطف للحصول على أي نظـرة منها ولو حتى عن طريق الخطأ، إنه بالرغم من صغر سـنه فإنـه بطل مـصر في الملاكمة والمصارعـة والجودو والكاراتيـه، وهو ما يعد إعجاز رياضي أن يجمع أحد البطولة في هـذه الألعاب المختلفة، وفي هذا السـن فضـلًا عن أنه ابن أخت رئيـس مجلس إدارة الجريدة، كل ذلـك أصابه بنوع من الغرور والنرجسـية بحيث بات يتصـور أنه فارس أحلام أي فتـاة وأنـه «دونجوان» عـصره، فأخذ ينتقل مـن فتاة لأخرى ومن حـب لآخر معتمدًا على شـهرته وثروتـه وقوته، وكلها مقومات تذهب بعقـول المراهقات إرضاءًا لغروره وتعويضًا لعقدة النقص التي لم تفارقه يومًا من الأيام، حيث لم يكن أبدًا «وسـيمًا» وظل هكذا لا يوقفه أحد حتى قابل سلوى وأرادها أن تدور في فلكه فلم يكن منها إلا أنها صدته وأوقفته أمام مرآة الحقيقة فرأى فيها ما هو عليه من تفاهة وصبيانية، فتمسك بها أكثـر من أي فتـاة عرفها، ولم يلبث أن هام بهـا ووقع في حبها وصارحهـا بذلـك، غير أنهـا لم تعبأ به وهو أيضًـا لم ييأس فلا يكاد يعرف بأحد يتودد إليها إلا وأطاح به وأزاله من طريقها،

واستعان مرارًا بأصدقائها المقربين للتوسط بينهما غير أن كل محاولاته كانت تبوء جميعها بالفشل، فسلوى كانت فتاة من طراز خاص لم تبهرها كل المظاهر البراقة التي أحاط بها نفسه، ولم تأبه مطلقًا بالثروة والشهرة والنفوذ، وقلبها هذا لم يخفق لأحد حتى الآن.

غادر الجميع غرفة الاجتماعات وأخذت سلوى تتحدث مع رئيس التحرير أثناء سيرهما عن بعض التفاصيل في تحقيقها المقبل قبل أن يقطع حديثهما هذا العاشق الولهان علاء سالم المستشار الرياضي للجريدة، ومجنون سلوى كما يطلق عليه كل من يعرفه وهم بالتحدث إلا أنها وعلى الفور انصرفت بعد أن استأذنت من رئيس التحرير وسط نظرات علاء الملتاعة الذي أخذها يرقبها بها حتى غابت عن نظره، وهنا ربت رئيس التحرير على كتفه الضخم فانتزعه من شرود قائلًا:

يا بني اهتم بعملك وافعل شيء ذو قيمة يجعلها تلتفت إليك بدلًا من أت تعذب نفسك هكذا.

علاء: كيف يا أستاذ طلعت وهي لا تعطيني أي فرصة؟ إنهـا حتى..... قاطعه رئيس التحرير إنها فتاة من نوع فريد، يجـب أن تجبرهـا على الاهتـمام بـك لا أن تطلب منهـا ذلك، ولـن يحدث ذلك إلا بعمـل شيء ذو قيمة يرفع من أرصدتك لديهـا، هذا إن كنـت بالفعل..... اندفع علاء قائلًا: أقسـم لك يا أستاذ طلعت إنني أحبها من كل..... قاطعه رئيس التحريـر بدوره قائـلًا: إذن فلتعمل بجـد وحماس وتجعل من نفسك فارس أحلامها، بعيدًا عن عالم القوة والعضلات هذا الذي لا يسـتهوي سوى التافهات اللاتي تحيط بهم نفسك كما أنـك بذلك تغضـب الله باختلاطـك بهـم و.... قاطعه علاء باندفاع: أقسـم لك أن جميع تلك العلاقات بريئة ولا تتجاوز قاطعـه رئيس التحرير مـرة أخرى بأن ربت عـلى كتفه قائلًا: ياولدي لقد قالها معلـم البشرية عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الحلال بيِّن والحـرام بـين**» ثم تركـه لحيرته وانـصرف تاركا أيـاه يضرب أخماس في أسداس.

دخلت سلوى مكتبها وفوجدت من تجلس في انتظارها، وما أن وقع بصرها عليها حتى تهللت أسـاريرها وارتسـمت

على وجهها ابتسامة عذبة وأسرعت نحوها وتعانق الأثنتين وأخذا يتبادلان القبلات بحرارة.

سلوى: كيف حالك ياهالة؟ لَكَمْ أشتاق إليكِ وكيف.... قاطعتها الأخيرة قائلة بود وهي تعيد هندمة حجابها بعد تلك المعانقة الحارة:

– ياله من اشتياق لقد بدأت أنسى أننا ابنتا خالة إنني لم أراكِ منذ أكثر من ستة أشهر.

سلوى: عذرًا يا حبيبتي أنني فعلًا مقصرة، ولكنها الصحافة حبي الأول والأخير، نظرت إليها وسألتها بمكر قائلة:

– بمناسبة الحب ما أخبار مجنون سلوى، ألا يزال يلهث في صحرائك القاحلة؟ ارتفعت ضحكاتهما قبل أن تردف سلوى قائلة:

– كفاك مزاحًا وأخبريني كيف حال زوجك مراد وابنك حسام؟

هالة: الجميع بخير والحمد لله، وعندي لكِ موضوع كما تسمونه أنتم معشر الصحفيين بسبق صحفي، بدت سلوى أكثر جدية وهي تستفسر منها قائلة:

ــ كُلِّي آذانٌ صاغية يا شارلوك هولمز، ما الأمر؟ ضحكت هالة قبل أن تردف قائلة:

- الأمـر يبدو كـما لو كان مستحيلًا، رجـل وُجِد ملقى في الصحراء و..... قاطعتها سـلوى بدهشة: عذرًا ياسيدتي! رجـل ماذا؟ هل تعنـين..... قاطعتها هالة وهـي تقول: رفقًا بنفسـك يا حبيبتى إن ما ذكرته لا يسـاوي شيئًا بالنسبة لما هو آت.

سلوى: إذن أسرعي يا هالة فالفضول يكاد يقتلني.

هالـة: الرجـل كان بـلا هوية وحـين أجريت أنـا ومراد اختبـار (الـدي إن أيه) لتحديد هويتـه كانت المفاجأه المذهلة أن نتائـج هـذا الاختبـار لم تتطابـق مـع أي شـخص موجود بمصر أو الولايات المتحدة العربية أو باقي سكان العالم، وهنا لم تسـتطع سـلوى التزام الصمـت أكثر من ذلـك، واندفعت قائلـة: هل أنت متأكدة من نتائج هذه الـ..... قاطعتها هالة: نعم ياسـلوى جميـع الفحوصات سـليمة، فأجهزتنا لا يمكن أن تخطئ وبالرغـم من ذلك فلقد قمنا بإعادة إجراء الاختبار عـدة مرات وكانت النتيجـة تخرج كل مره مطابقة، ثم أن هذا

الاختبار اختبار أولي وبسيط ولا يستدعي كل ذلك، ولقد طلب مدير المستشفى من مراد إعداد تقرير نهائي عن حالة هذا الرجل وذلك قبل أن يبلغ الجهات المختصة.

سلوى: مستحيل ما تقوليه ياهالة، ثم اندفعت تسأل بكل فضول الدنيا، ولكن أين هذا الرجل الآن هل أستطيع أن أراه وأتحدث معه؟

هالة: إنه موجود بالمستشفى و..... ولم تمهلها سلوى فلقد جذبتها من ذراعها برفق وهي تقول: إذن هيا بنا.

هالة: إلى أين يا سلوى؟ ربما تكون المستشفى الآن ممتلأة بـ..... قاطعتها سلوى قائلة: أيا كان الأمر يجب أن أذهب وأمام إصرارها لم تجد هالة سوى الانصياع لابنة خالتها العزيزة، وانطلقا معا إلى المستشفى.

بإحدى غرف الطوارئ بمستشفى الشفاء كان يرقد على السرير الوحيد الموجود بالغرفة رجلًا في بداية عقده الثالث، وكان وسيمًا طويل القامة، عريض المنكبين، رياضي البنية، وقد بدأ يستعيد وعيه شيئًا فشيئًا، ولم يكد يمتلك حواسه

حتى ألتفت وبحركة لا إراديه لمعصم يده فلم يجد تلك الساعة التي كانت تحيط به.

وهنا عصف الرعب بكيانه وانتفض من السرير وأخذ يتفحص محتويات الغرفه وبالرغم من صغر حجمها إلا أنها بدت له كصحراء مترامية الأطراف ابتلعت ساعته وكانت الغرفة تمتلئ بأجهزة بدت له شديدة التعقيد، وأدرك أنه داخل إحدى المستشفيات، ثم وجد بجوار السرير الذي كان يرقد عليه إسطوانة داكنة اللون بارتفاع متر واحد تقريبًا عن الأرض، وكانت يوجد بقاعدتها العليا وفي منتصفها تقريبًا شيء ما أشبه ما يكون بكرة سوداء صغيرة، فضغطها ولم يكد يفعل حتى اختفت القاعدة تمامًا وكأنها تبخرت في الهواء، ولم يلبث أن تنفس الصعداء حين وجد تلك الساعة بداخلها، تلك الساعة التي لم تكن سوى جهاز تفتيت أيوني، يقوم بتحويل مادة الجسم البشري إلى فوتونات ضوئية تنطلق في الفضاء بسرعة الضوء، ثم يعيد الجهاز عكس أقطابه ويقوم بتكثيف وتجميع مادة الجسم البشري مرة أخرى، ولكن في بعد آخر هذه المرة، وهذا ماحدث له بالضبط، حين فر من بغداد وقت أن كانت تقصف بوحشية من رعاة البقر.

أخذ شهاب الساعة بلهفة ووضعها حول معصمه ثم عاد إلى السرير واستلقى عليه بظهره، وأخذ يفكر في المجهول الذي ينتظره، كان على يقين أنه في المستقبل بدليل كل تلك الأجهزة المتطورة التي امتلأت بها الغرفة، والتي بدت بلا أي أسلاك أو ما شابه، فقط أنابيب دقيقة تمر بداخلها أشعة الليزر، وأخذت عشرات الأسئلة تطارده بحثًا لنفسها عن إجابة إلى أي مستقبل قفز عبر الزمن؟ وما الأوضاع السائدة به؟ أهي أوضاع جيدة ستمكنه من الرجوع وإنقاذ الآلاف من الأبرياء من حلفاء الشيطان؟ أم هي أوضاع أكثر سوءًا من الماضي؟ وظل هكذا غارقًا في تساؤلاته، وفجأة تهللت أساريره وانتفض بجسده من السرير بعد أن رأى شيئًا ما.. شيئًا كفيل بأن يجيب على جميع تساؤلاته، بل ويطلعه على كل كبيرة وصغيرة في هذا العصر، واندفع نحوه وكاد قلبه يقفز فرحًا من بين ضلوعه، فلقد كان هذا الشيء عبارة عن جريدة كانت موضوعة بجوار أحد الأجهزة، وعلى الفور التقطها شهاب وكان أول ما بحث عنه هو تاريخ اليوم، وكما توقع تمامًا وجد التاريخ ١٦-٣-٢٢٧٦م، إنه في المستقبل..... المستقبل البعيد ثم أخذ يقرأ بشغف بالغ لمعرفة ما يدور في

هذا العصر، وكانت ابتسـامته تتسـع شـيئًا فشـيئًا والسـعادة تجتاح كيانه.

كلـما طوى صفحاتهـا صفحة تلو الأخـرى لقد كان كل شيء في هذا العصر شـديد الإبهار، كل شيء به يدل على القوة والعظمـة والمجد، هـذا المجد الذي لم يكن لـه في هذا العصر سـوى جنسية واحدة، الجنسية العربية، نعم لقد كان المجد في هـذا العصر مجـدًا عربيًّا خالصًا، انعكس عـلى كل شيء بتلك الجريـدة أخبار وعناوين كثيرة ألهبت مشـاعره وملأته بالفخر والعـزة، ولقـد كان من حسـن الطالـع أن ذلك اليـوم يوافق الاحتفـال بمرور مئة وخمسـين عامًا على تحقيـق حلم الوحدة العربيـة الكبرى بين جميع الدول العربيـة، والإعلان عن قيام الولايـات المتحدة الإسـلامية كدولـة للوحـدة وعاصمتها: مدينـة القاهـرة، وامتـلأت الجريدة بأخبـار مثـل «الاحتفال بمرور مئة وخمسين عام على تحرير القدس».

بعرض عسـكرى ضخم للجيش العربي الثالث (كتائب حمزة بن عبد المطلب) بمدينة القدس.

بحضور مولانا خليفة المسلمين وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي «وخبر آخر يقول: الاحتفال بمرور مئة وخمسين عامًا على إنشاء الجيش الإسلامي الموحد (جند محمد) وآخر يقول: «تحتفل الولايات المتحدة الإسلامية بمرور مئة وثلاثين عامًا على استرجاع الأندلس»، وكان أكثر ما أسعده وأثلج صدره خبر يقول: «الاحتفال بمرور مئة وعشرين عامًا على محاكمات واشنطن الشهيرة».

وكان الخبر يقول: «تحتفل الولايات المتحدة الإسلامية بمرور مئة وعشرين عامًا على المحاكمات الكبرى التي أجريت لمجرمي الحرب من الأمريكان واليهود عن جرائم الإبادة الجماعية والقتل والتعذيب التي ارتكبتها جيوشهم في حق الشعوب العربية والإسلامية، وذلك منذ منتصف القرن العشرين وحتى عام ٢٠٥٠م، وتمت هذه المحاكمات في مدينة واشنطن العاصمة السابقة لما كان يعرف في الماضي بالولايات المتحدة الأمريكية، والجدير بالذكر أنه تم تغيير الاسم القديم للمدينة بعد الانتهاء مباشرة من المحاكمات، حيث أطلق عليها اسم مدينة «الدرة» تخليدًا لذكرى استشهاد طفل

فلسـطيني في عام ٢٠٠٠م يدعى محمـد الدرة حين قام جيش الاحتلال الإسرائيلي وقتها بإطلاق الرصاص عليه حين كان برفقة أبيه في طريقه لمدرسته، وخرج الرئيس الأمريكي وقتها يدين الطفل وأبيه لسـيرهما في أماكن يطلق فيها الجنود اليهود النار و.....

وهنـا قاطعتـه وانتزعتـه من طوفـان السـعادة الذي كان يغمره طرقـات على باب الغرفه أعقبتها دخـول دكتورة هالة ومعهـا ابنـة خالتهـا الباحثة دومًا عـن الحقيقة سـلوى، وهنا بدأت الشـكوك والمخاوف تسـاوره، فهاهم سـكان المستقبل فهـل سيسـتوعبوا قصتـه ويسـاعدوه؟ أم يتهمـوه بالجنون؟ أو ربـما يتطـور الأمـر لما هـو أسـوأ، وانتزعته الدكتـورة هالة مـن هواجسـه عندما وجهت لـه الحديث قائلـة: حمدًا لله على سـلامتك، أنـا دكتورة هالة وأشـارت لسـلوى التـي ارتدت زي أطبـاء المسشـفى قائلة: وهـذه دكتورة سـلوى، لم تعقب سـلوى بـشيء وبـدت تنظر لشـهاب بتمعن، في حـين أردف شـهاب قائلًا وهو ينظر إليهما: أشـكركم على حسن الرعاية، وأعتقد أنني الآن في حالة جيدة تسمح لي بالخروج، وانتصب

واقفًا وهو يردف قائلًا: فعندي الكثير لأقوم به، وهنا قاطعته سلوى قائلة: وماذا تعمل يا سيدي..... ثم صمتت لثواني قبل أن تكمل، إننا حتى الآن لا نعرف ما اسمك.

نظر إليها وقال بهدوء: اسمي شهاب، وهنا حدث شيء ما بداخلها، شيئًا لم تستطع تفسيره، ولكنها تستطيع أن تجزم بوجوده وبقوة، وفجأه دلف الدكتور مراد إلى داخل الغرفه وما أن رأى شهاب واقفًا بقامته الممشوقه وبنيته الرياضية حتى خاطبه قائلًا: حمدًا على سلامتك أنا الدكتور.

مراد ولم يلتفت لهالة وسلوى في بادئ الأمر وهو يتابع حديثه: إن إدارة المستشفى ترغب في الاستفسار منك عن بعض الأشياء ثم التفت لهالة وسلوى وهي ترتدي زي أطباء المستشفى، ففهم على الفور أن تلك الصحفية المشاكسة قد أتت وراء سبق صحفي، فقال موجهًا حديثه لها بسخرية: أهلًا بك يادكتورة سلوى إنك وابنة خالتك تشكلان فريقًا رائعًا، وهنا ارتبكت هالة في حين بدت سلوى هادئة تمامًا وهي تقول: أهلًا بك يا دكتور مراد لم يعلق مراد ووجه حديثه لزوجته

قائـلًا: إن كنت انتهيت يادكتورة فلتتبعيني لمكتبي فعندنا الكثـير من العمـل، زاد ذلك من ارتباكها وهي توماً برأسـها إيجابًـا دون أن تتكلم، وغـادر الجميع الغرفة تاركين شـهاب بمفرده.

وفـور خروجهم حاولت سـلوى التحدث لمـراد إلا أنه كان أسرع منهـا وبادرها بالحديث قائلًا: كي أوفر عليكِ عناء الحديـث لقد علمت بالطبع مـن هالة قصة هذا الرجل ولكن الـذي لا تعلميـه أن المكان سـيمتلئ بعد قليـل برجال الأمن القومـي بعـد أن قدمت تقريـرًا نهائيًّا عن نتائـج الفحوصات الجينيـة لهذا الرجل، وأغلب الظن أن السـبق الصحفي الذي جئتِ سعيًا وراؤه لم يعد ممكنًا الآن.

ثم هم بالانصراف قائلًا بسـخرية: يومًا سـعيدًا ياسادة، ولم يكـد يفعـل حتى قالـت هالة لسـلوى: إن مـراد معه حق ياسلوى، فلتنسِ هذا الأمر وعودي للجريدة وباشري عملك ولا تورطي نفسك في شيء.

سـلوى: معـك حق ياهالـة وخصوصًا أن عنـدي الكثير لأقـوم به، ثـم ودعتها وانصرفت وسـط شـكوك هالـة التي

تعرف ابنة خالتها جيدًا وماتتمتع به من إصرار لا يتناسب مطلقًا مع استسلامها السريع هذا.

بمكتب مدير المستشفى دكتور شفيق عبد الوهاب كان يجلس الدكتور مراد والدكتور شفيق وبرفقتهما عدد من رجال الأمن القومي العربي وعلى رأسهم الرائد صلاح بسيوني أو المطرقة كما يطلق عليه زملاؤه بالعمل، لما يتمتع به من جدية وصرامة في أداء عمله تتسم في بعض الأحيان بالشراسة والقسوة في التعامل مع القضايا المختلفة التي تُسند إليه مما جعله من أكفأ رجال الأمن القومي، ويكفي القول بأنه لم يفشل في أي قضية كُلِّف بها حتى الآن..

أخذ الرائد صلاح يقلب بصره بين الدكتور مراد ومدير المستشفى الدكتور شفيق قبل أن يوجه حديثه لمراد متسائلًا: أنت إذًا من استقبل هذا الرجل يا دكتور مراد عند قدومه للمستشفى أليس كذلك؟

مراد: نعم هذا صحيح.

صلاح: وماذا كانت حالته حين رأيته؟

مراد: كان يعاني من حالة فقدان وعي.

صلاح: وما هي ملاحظاتك الأولية حين رأيته؟

مراد: كان طويل القامة رياضي البنية كما لو كان أحد العسكريين أوالرياضيين، ولم يكن به أي آثار لأي اعتداء أو ما شابه.

صلاح وقد وجه حديثه لمدير المستشفى: من أتى به يادكتور شفيق؟

دكتور شفيق: أحد الأطباء، ويدعى مدحت توفيق، وهو أخصائي لجراحة القلب والشرايين بالقصر العيني، وقد ترك عنوانه لدى أمن المستشفى.

عاد الرائد صلاح بتساؤلاته للدكتور مراد قائلًا: هل استرد ذلك الرجل وعيه يادكتور مراد؟

مراد: نعم منذ نصف ساعة تقريبًا، وهنا قام الرائد صلاح فقام الجميع ووجه كلامه للدكتور شفيق مدير المستشفى قائلًا: ممنوع الإدلاء بأية أحاديث صحفية لحين الانتهاء من التحيقات، ولم يكد ينهي كلماته حتى قفزت لرأس مراد كل شكوك الأرض وهواجسها بعد أن تذكر

سلوى تلك الصحفية المشاكسة وسبقها الصحفي الذي تسعى وراؤه، وبدا التوتر يعلو وجهه وهو يسير برفقة الرائد صلاح ورجاله ومعهم مدير المستشفى إلى حيث يوجد رجل الصحراء الغامض إلى حيث يوجد شهاب.

سمع شهاب طرقات للمرة الثانية على باب الغرفة واندفعت سلوى إليها بمفردها هذه المرة وهي تقول بانفعال:

- شهاب أو أيًّا كان اسمك هيا أسرع، يجب أن تغادر المكان فورًا وسأساعدك في.. قاطعها شهاب: ما الأمر يا دكتورة سلوى؟ إنني.... قاطعته هي الأخرى وهي تقذف إليه بزي أحد الأطباء: لا يوجد وقت للنقاش فلقد علم رجال الأمن القومي بأمرك، هيا أسرع قبل فوات الأوان، لم يجد شهاب بُدًا من الانصياع لما تقول وارتدى الزي الذي ألقت إليه به ثم غادرا المستشفى على عجل وركبا شيئًا ما يشبه السيارة إلى حد كبير إلا أنها بلا إطارات، وارتفعت بهم عن الأرض مسافة ما ثم انطلقت كالقذيفة، ومن داخل تلك

السيارة العجيبة بدا شهاب مبهورًا بما حوله من تقنيات، وتقدم يكاد يذهب بالعقول، وهم بالتحدث لولا أن استوقفه ذلك الظهـور المباغت لحائل زجاجي داكـن اللون امتد من أرضية السـيارة حتى سـقفها وفصـل بينهما فصلًا تامًّـا وتحدثت هي عقـب ذلك مباشرة قائلـة: إن اختلاط الرجل بالمرأة الأجنبية حرمـه الله عَزَّوَجَلَّ كـما أن قانـون الولايات المتحدة الإسـلامية يجرم ذلك فلقد قال رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشـيطان ثالثهما**» أسرع شـهاب يردد قائلًا بسعادة:

- عليـه الصلاة وأفضل السـلام، ثم أردف إنني مسـلم والحمد لله و.....قاطعته بدورها:

- أعلـم ذلـك فلقـد أكـدت الفحوصات التـي أجريت عليك وجود تركيزات عالية لأيونات الأكسـجين على الوجه والأطراف ناتجة عن الماء المسـتخدم في الوضوء، كما أن دمك لم يتواجـد بـه مطلقًا أي خمور أو لحم خنزيـر على مدار عمرك البالغ ٣٣ عامًا.

كان شهاب مبهورًا طيلة الوقت بما يسمع وكان مندهشًا جدًّا كيف لا يمنع هذا الحائل الزجاجي المحكم انتقال الصوت بينهما بهذا الوضوح، بحيث كان يسمعها طيلة الوقت وتسمعه؟ ولكنه أعزى ذلك للتقدم المذهل لهذا العصر، كما أنه كان يشعر بما هو أهم من ذلك بكثير، كان يشعر بقلق وريبة جعلته لا يكترث طويلًا بهذا الأمر، فليكن هذا الحائل الزجاجي ما يكون ولكن الأهم مَن تكون تلك الفتاة؟ وماذا تريد؟ وهل هي مصدر خطر؟ حاول استكشاف الأمر وخاطبها من خلف الحائل قائلًا:

- ما الأمر يا دكتورة سلوى؟ ابتسمت سلوى بتلقائية بالطبع لم يرى شهاب تلك الابتسامة من خلف هذا الحائل الداكن ولكنه شعر بها من نبرة صوتها وهي تقول:

- أنت الذي تسأل ما الأمر! إن بالمستشفى الآن العشرات من رجال الأمن القومي العربي ممن يريدون أن يعرفوا ما الأمر، ثم صمتت لبرهة قبل أنت تقول:

- من أنت؟

شهاب: إن الأمر يادكتورة سلوى.....قاطعته بهدوء:

– بالمناسبة أنا لست طبيبة، أنا محررة صحفية بقسم التحقيقات بجريدة الحرية، وأرغب في مساعدتك ولكن أن..... قاطعها:

– ولماذا؟

سلوى: عفوًا.

شهاب: لماذا ترغبين في مساعدتي؟

ارتبكت قليلًا وشعر هو بذلك وهي تردف قائلة:

– لنقل أنه.....قاطعها قائلًا:

– إنه السبق الصحفي، أتاه صوتها مرة أخرى ممزوجًا بالدهشة والتعجب:

– من أنت؟

– أنا شهاب.

– يا له من جواب، هل تعتقد أن رجال الأمن القومي سيسعدهم جوابك هذا حين يسألونك عن هويتك وعن تواجدك بالصحراء و..... قاطعها بود وبشيء من البهجة:

– رجال الأمن القومي، الولايات المتحدة الإسلامية، محاكمات واشنطن الكبرى، لا تستطيعي أن تتخيلي ما أشعر

به من سعادة وأنا أسمع ذلك، أتاه صوتها هذه المرة محملًا بكل استغراب الدنيا وتعجبها وهي تقول بسخرية:

هل سقطت من المريخ أم جئت من..... قاطعها برفق:

- أحقًّا تريدين مساعدتي؟

- بالتأكيد.

شهاب: وهل لي أن أعرف كيف ستساعديني؟

سلوى: سأوفر لك مكانًا آمنًا وإن كنت متورطًا في شيء ما سأحاول أن أساعدك ولكن يجب أولًا ان أعرف ما هي قصتك.

شهاب: وماذا لو كنت لصًّا أو قاتلًا أو ما شابه؟

سلوى وقد اكتسى صوتها بشيء من الود:

- لم تبدو لي كذلك حين رأيتك في المستشفى لأول مرة، ثم ران صمت طويل داخل السيارة قبل أن يردف شهاب قائلًا وهو ينظر إلى الطريق أمامه والذي لايكاد يلمح منه شيئًا من شدة السرعة التي تنطلق بها سيارات هذا العصر:

- وهوكذلك.

ما هذا الهراء؟ أين هو؟ صاح الرائد صلاح بهذه الكلمات حـين دخل الجميـع الغرفة ولم يجدوا شـهاب، وهنا نظر مدير المستشـفى دكتـور شـفيق إلى الدكتور مراد متسـائلًا: ألم تكن معه منذ قليل يا دكتور مراد؟

مـراد: نعـم هذا صحيـح ولكننـي لا..... وهنـا انفجر صـلاح في وجهه بشـكل فج: ما هذا الإهمال؟ أنت المسـئول أمامي، أنت آخر من كنت معه ولن..... وهنا لم يستطع مراد أن يحتمـل أكثـر من ذلك وقاطعـه بحدة وقد شـعر بالإهانة: إنني لا أسـمح لأحد أن يخاطبني بهذا الأسلوب، إنني لم أكن مكلفًـا بحراسـته أو ما شـابه، إني طبيب ولسـت رجل أمن، نزلت كلماته على الرائد صلاح كالدش البارد، وأصابته ببعض الارتبـاك الذي سرعان مـا تحول إلى غضب يضاف إلى رصيد الغضب الذي بحوزته، وأخذ يرمق مراد بنظرات عدائية قبل أن يشـيح بوجهه عنـه قائلًا لمـن حوله بانفعـال: هيا يجب أن نتحـرك بسرعة فعندنا الكثـير لنقوم به، وانطلـق هو ورجاله ولم يكد يفعل حتى اندفع مراد يسـأل مديره باسـتنكار: كيف تسـمح له يادكتور شـفيق بأن يخاطبنا بهذا الأسلوب الوقح؟

دكتور شفيق: بالفعل إن أسلوب هذا الرجل فج بعض الشيء ولكن لا تنكر يامراد أن الأمر بالفعل مزعج، أين اختفى ذلك الرجل الغامض هكذا فجأة؟ وكيف لم يتم تسجيل خروجه؟ إن الأمر يستدعي إجراء تحقيق داخلي وسأشرع فيه فورًا، ولا تنسى أن هؤلاء الرجال وإن كانوا يتسمون بالفظاظة وبالآلية في تعاملتهم إلا أنهم يحملون على عاتقهم حماية الأمن القومي لدولة مترامية الأطراف يبلغ تعداد سكانها ما يزيد عن نصف سكان كوكب الأرض، واختفاء هذا الرجل على هذا النحو من المستشفى يجعلنا في موضع ريبة وشك، ولاتنسى أنك قد لقنته درسًا وأوقفته عند حده، ثم صمت لبرهة قبل أن يقول: لاشك أن تلك القضية ستسبب الكثير من المتاعب قبل أن تتكشف وتتضح معالمها، ثم تركه وانصرف ورجع مراد إلى مكتبه والغضب والحنق يملآنه بعد أن أصبح موضع ريبة وشك، وما أن وجد زوجته الدكتورة هالة حتى انفجر في وجهها قائلًا: ما هذه الأمور الصبيانية يادكتورة؟ كيف تسمحين لنفسك أن تشاركي في مثل هذه الأفعال المريبة؟ كيف..... قاطعته باستغراب:ما الأمر يا مراد؟ إنني لا أعر..... قاطعها بحدة: أولًا تذهبين لسلوى وتضعين أمامها

تقريرًا مفصلًا عن ذلك الرجل الغامض، ثم تأتين بها متنكرة للمستشفى، وأخيرًا تنهين ذلك كله بأن تساعديها في تهريب الرجل و..... وهنا قاطعته باستنكار: كفاك يامراد إنني حتى هذه اللحظة لم أكن أعرف بأمر اختفاء ذلك الرجل، ثم إنني لا أتورط في مثل هذه الأفعال، ثم ازدادت حدة وهي تقول: والأفضل أن أترك لك المكان قبل أن يزداد الوضع سوءً، ثم انصرفت واندفعت خارج المكتب غاضبة في حين أخذ مراد يراقبها وهو يغمغم قائلًا:

- يا له من يوم.

جلس شهاب على أحد المقاعد الوثيرة وكان يجلس أمامه مباشرة رجل في بداية عقده السادس وكان رجلًا مهيبًا تبدو عليه وبوضوح علامات الصرامة والحزم، يتمتع وهو في سنوات عمره الستين بقامة فارهة وبنية رياضية متينة، وكانت نظرات عينيه الحادة تكاد تنفذ إلى أعماق شهاب وتتجول بداخله، بحيث بات يشعر الأخير وكأن ذلك الرجل يقرأ أفكاره وقد أخذ يداعب بهدوء لحيته الرمادية الكثة كان

المكان حديقة فيلة ذلك الرجل وكانت الأشجار تلفها من كل ناحيه وتخفيها تمامًا عن الأنظار بما يتناسب ويتلائم مع طبيعة أحد أشهر جنرلات جهاز الأمن القومي العربي السابقين الجنرال أمين محفوظ جد سلوى التي أخبرته عن ذلك الرجل الغامض الذي وجد ملقى فاقد الوعي في الصحراء وكيف أن أختبارات الدي أن أيه لم تستطع أن تحدد هويته وكيف أنها ذهبت للمستشفى، واصطحبته معها قبل وصول عناصر جهاز الأمن القومي إليها كان الجنرال قد عكف ومنذ تقاعده على كتابة مذكراته إلى أن اتصلت به حفيدته المحببة إلى قلبه تطلب منه المساعدة في معرفة حقيقة هذا الرجل الغامض لتحصل على سبق صحفي لن يتكرر مثله وأقنعته بعد مجهود شاق ألا يبلغ جهاز الأمن القومي قبل أن يجلس ويتحدث معه وكيف أن أحساسها يؤكد لها أنه لا يشكل خطر على أحد بدا شهاب لسلوى وهي تنظر إليه من داخل الفيلا كأحد أبطال قصص ألف ليله وليلة الأسطوريين، وقد خرج لتوه من بين صفحاتها يثير من حوله مزيج من الغموض والجاذبية بحيث باتت تغمغم بشرود:

– ما الذي يحدث لي منذ أن رأيت هذا الرجل؟ إنني أفقد السيطرة! تمامًا! هل هو السبق الصحفي أم هي الشفقه؟ أم ماذا؟ هل يمكن أن يكون الحب؟ لا لا مستحيل أنني حتى لا أعرفه ثم انتزعت نفسها من هذا الشرود وحملت ما أعدته من طعام وتوجهت به إلى حيث يجلسون وفي هذه الأثناء ران صمت طويل بين الرجلين بحيث لم ينبث أحدهم ببنت شفة قبل أن تقطع سلوى ذلك الصمت وتردف قائلة:

– هل يسمح رجل الصحراء بمساعدتي، وهنا انتبه شهاب وابتسم قائلًا وهو يحمل عنها ما صنعته: عذرًا فالحديث مع جدك ممتع لأقصى حد، قال ذلك وهو ينظر للجنرال في محاولة يائسة لإضفاء بعض المرح على هذا الجو الخانق غير أن الأخير لم يحرر جوابًا، وبدا أكثر صرامة قبل أن يردف أخيرًا قائلًا:

– من أنت يا فتى؟

وقعت تلك الكلمات القليلة على شهاب كوقع ال وهم أن يتكلم لولا أن استوقفته إشارة حادة من الجنرال أعقبها بقوله:

يجب أن تجد ما تقنعني به وإلا فعناصر الأمن القومي سيكونون أسرع من كرسييك.

- حد ابتسم جد سلوى وأردف قائلًا:

- بل إن الحديث معك هو الممتع هذا بالرغم من مناوراتك الشديدة الذكاء للتهرب من الإجابة عن أسئلتي.

نظرت إليه سلوى وقالت: اسمع يا شهاب، لا توجد مشكلة بلا حل، ولو كنت متورطًا في شيء فلتخبرني بالحقيقة كاملة وحتمًا سنجد حل وحتمًا..... قاطعها بلطف: لا أريد أن أصيبك بالإحباط ولكن قصتي أبعد ما تكون عن السبق الصحفي الذي.... قاطعته هي الأخرى وقد بدا عليها التبرم والغضب وهي تقول: هل لازلت معتقد أنني أفعل كل ذلك من أجل هذا السبق الصحفي؟ نظر إليها وهو يرتشف بعضًا من الشاي وقال:

- ألن تشربي لقد بدأ الشاي يبرد؟ نظرت إليه وقالت: ألك أسرة زوجة وأولاد؟ وحياة اجتماعية؟

شهاب: كان لي.

سلوى: كان! ماذا تعني بكان؟ هل تعني..... قاطعها شهاب: دعك من هذا الآن هل حقًّا تريدين مساعدتي؟

سلوى: بالتأكيد وإلا ما فعلت كل هذا.

شـهاب: إذن فلتثقـي بي فلسـت خطـرًا ولا أمثـل تهديد لأحد ولا..... قاطعـه الجد بلطف وود: إذن ما هي قصتك يا بني؟

وكيف كنـت ترقد في الصحراء فاقد الوعـي و..... قاطعه باسـتغراب: أكل المشكلة أنني كنت أرقد في الصحراء فاقـد الوعي، ماذا لوفقـدت وعيي في مكان آخر؟ على كرسي مثـل الـذي أجلس عليـه؟ ألن يسـبب ذلك مشـكلة وقتها؟ نظر إليه والدهشـة تملأ وجهه وشـاركته سلوى في ذلك حين قالت:

- إنـك تتحـدث وكأنـك لا تنتمـي لهـذا العـصر، ولـو أنهـا تعلـم أن في عبارتهـا تلـك كل الأجوبـة على تسـاؤلاتها لاستراحت، لم يعقب شهاب في حين واصلت حديثها قائلة:

- لـو أخذنـا في الاعتبار أنه لا توجد حوادث سـيارات، ونحـن في آواخـر القـرن الثالـث والعشريـن بعـد اخـتراع

السيارات النفاثة ولو أضفنا إلى ذلك أن مكان مفتوح كالصحراء يستحيل أن يهاجم فيه أحد الآخر دون أن تصيبه شبكة الردع الفضائي بدفقات من أشعة الليزر قبل أن تعتقله الشرطة بدقائق، لو جمعنا كل ذلك سيظهر سؤال في غاية الإلحاح: من أين جئت؟ وكيف فقدت وعيك هكذا في الصحراء؟

شهاب وقد تفهم غرابة تواجده في الصحراء فاقد الوعي غير أنه بادرها قائلًا: ألا يحتمل أن أكون فقدت الوعي في مكان ما لا تستطيع فيه شبكة الردع هذه التدخل ثم أخذني أحدهم وألقاني في الصحراء ولم... قاطعه الجد وقد بدأت الدهشة والحيرة تعلوان وجهه:

- وقتها ستتدخل شبكة الردع فورًا ياولدي؛ لأن هذا تحرك عدائي سترصده الأقمار الصناعية التي تعمل من خلالها الشبكة ثم أردف:

- ثق بنا يا بني كما نثق بك وإن كنت لا ترغب في التحدث الآن فسنتركك تستريح ولربما يحمل الغد شيئًا تقوله، ثم تركه وانصرف وتبعته سلوى وهي تقول لشهاب:

– المكان بالداخل مجهز بكل شيء وأرجوك لو أحتجتني في أي وقـت فالفيمتوسـكرين بالداخل مخزن عليه كل أماكن تواجدي، وابتعدت عدة خطوات قبل أن ينادي عليها شهاب هاتفًا باسمها:

– سلوى.

ولسبب مجهول كاد قلبها يرقص فرحًا حين سمعته ينطق باسـمها، فاستدارت إليه وقد حاولت باستماتة أن تخفي معالم الفرحة عـلى وجهها، ولم تكد تفعل حتـى خاطبها بود قائلًا: أشـكرك ياسـلوى على كل شيء، نظرت إليـه ولم تحرر جوابًا واتجهـت هي وجدها نحو سـيارتها، ثم اسـتقلاها وانطلقت بهـما وهـو يرقب السـيارة التـي انطلقـت كالصـاروخ وأخذ يغمغم قائلًا:

– لقـد قلتهـا ياصغـيرتي دون قصـد، نعم إننـي قادم من عصر آخر عصر يتسـيده القوادون والعاهرات عصر يتسـيده رعـاة البقر، وظل يتابع السـيارة ببصره حتـى غابت تمامًا عن الأنظار، ولم يكن هو الوحيد الذي يفعل، فلقد كان هناك من يرقبهـا من داخل إحدى السـيارات ونيران الغيرة تأكل قلبه،

وقد اغرورقت عيناه بالدموع وبكل غضب الدنيا صرخ قائلًا:

- أقسم ياسلوى أن أجعلك تندمين، نطق علاء بتلك العبارة وكأن براكين الأرض كلها قدت تفجرت بقلبه تصليه بحممها بلا رحمة.

بإحدى القاعات المجهزة لعرض شرائط المسح الفضائي بمبنى إدارة جهاز الأمن القومي العربي جلس مدير الجهاز والرائد صلاح مع عدد من الخبراء العسكريين من الجيش والمخابرات والأمن الفضائي، وكان من بين الحاضرين الدكتور صادق عز الدين أحد أشهر علماء الطبيعة في العالم، ومخترع شبكة الردع الفضائي، وكان الرائد صلاح أو المطرقة قد استجوب في وقت سابق دكتور مدحت توفيق أول من رأى شهاب ملقى في الصحراء، وقام بنقله إلى المستشفى وتعرف منه على ملابسات الأمر بكل دقة، بعد أن قام باعتصاره الرجل في تحقيق استمر قرابة الثلاث ساعات ليلة أمس، وعليه أوصى بعقد هذا الاجتماع.

أعطى مدير الجهاز أوامره بالبدء في عرض الشريط الذي ظهر بـه طريق مـصر الإسـكندرية الصحراوي والسـيارات النفاثة تخترقه كالومضات بسرعتها الفائقة ثم ظهر بغتة خيط رفيـع متوهج، مر بسرعة مذهلة بالقرب من أحد السـيارات ثـم لم يلبـث أن اختفى أيضًـا فجأة، وهنـا أردف مدير الجهاز قائلًا: حسـنًا ياسـادة أي تسـاؤلات قبل أن نتوقف؟ ولم يكد ينهي كلماته حتى تحدث الدكتور صادق عز الدين قائلًا: أريد عـرض الفيلم منـذ بداية ظهور هذا الخط المضـئ بدرجة بطأ ١٥٠ من سرعته الفعليه وبدرجة اقتراب ٢٥٠ درجة.

مديـر الجهاز: وهو كذلك ثم أشـار بيـده لتنفيذ مطلب دكتـور صادق الـذي أخذ يحـدق في الفيلم لعـدة دقائق بدقة بالغة قبل أن يردف قائلًا: وهو كذلك يكفي هذا.

ثـم أضيئـت أنـوار القاعـة وبـدأ الجميع يـدلي بتكهنات وتخمينـات واسـتنتاجات في حين بدا الدكتـور صادق صامتًا لا يتكلم ولم يخرجـه عن صمته إلا توجيه مدير الجهاز حديثه لـه قائلًا: وما رأيك أنت يا دكتور صادق؟ أراك صامتًا طوال الوقت.

د/ صادق: مع احترامي الشديد لكل ما سمعت ولكن هذا الذي ظهر واختفى فجأة ليس كذيفة ليزرية أو إشارة ليزرية أخطأت طريقها من محطة توجيه أرضية لإحدى الأقمار الصناعية كما قال البعض، فالسرعة التي انطلق بها هذا الوهج الغامض كما اتضح من الشريط الذي شاهدناه هي نفس سرعة الضوء، ويعلم الجميع أنني كنت أعمل بأحد المشاريع المتعلقة بالتنقل عبر الزمن عن طريق الوصول لسرعة الضوء، غيرأنني توقفت لأن هذه السرعة غير متوفرة عمليًّا، وإن لم أكن أخطأ فإن هذا الذي شاهدناه ما هو إلا جسم منطلق بسرعة الضوء.

صمت الجميع لبرهة من الوقت وبدت عليهم علامات التشكك والدهشة قبل أن يردف صلاح قائلًا: ولكنك قلت قبل لحظات أن هذه السرعة ليست متاحة وأن ذلك هو سبب توقفك عن مشروعك فما الأمر إذا؟

د/ صادق: نعم لقد قلت أن هذه السرعة غير متوفرة حتى الآن، ولكنني وبصفتي عالم أكاد أجزم أنه مع تطور العلم وتقنياته ستصبح هذه السرعة متاحة فيما بعد، وربما

يكون هذا الذي شـاهدناه ما هو إلا جسـم قادم من المستقبل ومنطلق بسرعة الضوء من الممكن أنـ..... قاطعه مدير الجهاز: ولكـن هذا الرجـل الذي وجد ملقى في الصحـراء ما علاقته بكل ذلك؟

د/ صـادق: لا أسـتطيع أن أجـزم بـشيء قبـل أن أرى هـذا الرجل وأجري عليه بعض الفحوصات، وسـاعتها ربما أسـتطيع أن أجـاوب عـلى تسـاؤلك ولكن قبل ذلـك فليس عندي غير ما قلته.

ومـرت بعـد ذلـك عـدة دقائق قبـل أن ينتهـي الاجتماع ويوجه مدير الجهاز الشكر للجميع ثم يخاطب دكتور صادق باحـترام بالغ قائلًا: نأسـف لإزعاجك يادكتـور صادق فإني أعلـم أن وقتك ثمـين للغايـة و..... قاطعـه دكتور صادق: عـلى الإطلاق فوقتـي بالكامل مـن أجل هذا الوطـن وأمنه، وأنـا رهن إشـارتك في أي وقت. ثم صافحـه وانصرف وقد أخذ المطرقة أو الرائد صـلاح ومدير الجهاز يتابعانه بنظراتهما حتى غـاب عنهما، ثم أردف مدير الجهـاز قائلًا: أنت مكلف ياصـلاح بإيجاد رجل الصحـراء هذا بأقصى سرعـة، وأعتقد

أن مهمتـك لن تكون شـاقة بعد أن حصلـت على صورته من الفيلم، فكلام الدكتور صادق عن المستقبل وهؤلاء القادمون منه بدأ يقلقني، أدى صلاح التحية العسكرية لمدير الجهاز بقوة وحماس قائلًا: سيكون لدينا في أقل من ٢٤ ساعة ياسيدي.

مدير الجهاز: أنت من حددت الوقت فلا تتعداه.

صلاح: لا تقلق يا سـيدي، سأكون عند حسن ظنك كما كنت دائمًا.

٣- الحرب العالمية الثالثة..

أخذ شهاب يتجول داخل الفيلا التي كانت تتكون من طابقين، حيث صعد إلى طابقها الثاني ودخل أحد الغرف، وإذا به أمام مكتبة ضخمة تشغل مساحة أحد الحوائط بأكملها، وما كاد يقع بصره عليها حتى اندفع نحوها بلهفة يتفحص محتوياتها وكأنه يبحث عن شيء ما بعينه، وتهللت أساريره حين وجد أحد الكتب الضخمة يحمل عنوان تاريخ الحرب العالمية الثالثة، وكان لأحد أشهر الكتاب الإنجليز في تلك الفترة، فالتقطه وجلس على أحد المقاعد الوثيرة وبدأ في القراءة، وكان الفصل الأول بعنوان (كيف اندلعت الحرب؟) وأخذ الكاتب يجيب قائلًا: كان المحرك الرئيسي لاندلاع هذه الحرب هو زيادة وتنامي كراهية شعوب العالم لما كان يعرف في الماضي بالولايات المتحدة الأمريكية، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي الذي لم يكن أقل منها كراهية في أواخر القرن العشرين وبعد أن أصبحت أمريكا هي القوة العظمى الوحيدة في العالم، أصاب ذلك الأمريكان بنوع من جنون العظمة وهوس القوة، وبدأوا يتعاملون مع الشعوب والدول

الأخرى بمنطق شريعة الغاب للمحافظة على تسيدهم للعالم وسرقة ونهب خيراته للإبقاء على مستوى الرفاهية الصارخ الذي كانوا يعيشون فيه من دم تلك الشعوب لما يزيد عن قرن ونصف من الزمان، بحيث بات الملايين في أفريقيا وآسيا يموتون جوعًا ومرضًا في الوقت الذي عاش فيه الأمريكان وحلفاؤهم في ثراء فاحش، وكانت هناك عدة بؤر كفيلة بأن تنطلق منها الشرارة الأولى للحرب، وكانت أشد تلك البؤر احتقانًا هي المنطقة العربية، ففي المنطقة العربية أدى الاضطهاد الأمريكي الشنيع للعرب والمسلمين الذي بلغ ذروته في نهاية القرن العشرين للحد الذي صرح فيه الرئيس الأمريكي وقتها بأنه سيقود بلاده إلى حرب صليبية جديدة ضد العرب والمسلمين، وما تلى ذلك من تكوين تحالف أمريكي أوروبي واحتلال عدة دول عربية وإسلامية أدى ذلك كله إلى ارتفاع رصيد الكره والعداء لأمريكا وحلفائها، وخصوصًا بعد المجازر والمذابح التي ارتكبها اليهود ضد العرب وساندتها فيها أمريكا بالدعم السياسي والعسكري، وظل اليهود يمارسون التنكيل والإذلال للعرب بدعم صارخ من الأمريكان على مدار قرن ونصف من الزمان، وما كان

يقترفه الأمريكان بدورهم من بشاعات وقهر وتنكيل ضد المسلمين خصوصًا العرب منهم حتى جاء عام ٢٠٧٦م وقام الجيش السوري بهجوم مباغت على ما كان يعرف في الماضى «بإسرائيل»، وكبدها خسائر فادحة واستطاع أن يحرر مرتفعات الجولان الاستراتيجية وأن ينشر بها منصات لإطلاق صواريخ «سكود» المحملة برؤوس بيولوجية، وهددت سوريا وقتها بمحو إسرائيل من الوجود إن لم تنسحب من جميع الأراضي العربية التي احتلتها، وألهبت انتصارات الجيش السوري مشاعر الشعوب العربية وخرجت مظاهرات الفرح والتأييد في طول البلاد العربية وعرضها، وطالبت الشعوب حكوماتها بمساعدة سوريا وجيشها، وتدخلت أمريكا وقتها بكل قوتها لإنقاذ إسرائيل التي كانت ولأول مرة تحت رحمة جيش عربي يستطيع أن يبيدها في أقل من ٣٠دقيقة، وأخذت أمريكا تلعب دور الوسيط لحل الأزمة، وأخذت تناور وتراوغ في محاولة لكسب الوقت مستعينة بحلفائها في المنطقة، وبينما الوضع هكذا إذ تمكنت أجهزة المخابرات الأمريكية التي كانت تعرف وقتها بـ السي أي أيه من اغتيال الرئيس السوري وعدد كبير من قيادات الجيش، ووسط حالة البلبلة

والفوضى التي عمت جميع أنحاء المنطقة قامت أمريكا بضرب دمشق والجيش السوري بالجولان ضربة نووية مركزة، أدت إلى إبادة القوات السورية وإبادة نحو مليون سوري، وعلى الفور أسرع اليهود باحتلال الجولان إضافة للشمال السوري بأكمله وسط فظائع وبشائع ارتكبوها ضد المدنيين، وماجت المنطقة وقتها بالمظاهرات المطالبة بالثأر والانتقام إلا أن هذه المظاهرات تم قمعها بمنتهى العنف والشراسة، وبات بركان الغضب كامنًا يغلي في الصدور منتظرًا ساعة الانفجار.

وفي شبه الجزيرة الكورية وهي المنطقة التي انطلقت منها الشرارة الأولى للحرب، كانت أمريكا قد أشعلت في بدايات النصف الأول من القرن العشرين حربًا طاحنة بين أبناء الشعب الكوري راح ضحيته الآلاف من أبناء الشعب الواحد، وذلك دفاعًا عن مصالحها وأهدافها الاستعمارية، وبالرغم من أنها لم تستطع إحراز النصر ولكنها استطاعت أن تقسم شبه الجزيرة الكورية إلى شطرين، شطر شمالي وشطر جنوبي، واحتلت الشطر الجنوبي تحت دعوى حماية الجنوب من هجوم شمالي متوقع، هذا الهجوم الذي لم يحدث طوال

قرن ونصف من الزمان، ومنذ هذا التاريخ وحتى الحرب العالمية الثالثة عام٢١٧٦م كانت أمريكا تفرض حصارًا حديديًّا على كوريا الشمالية، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي في أواخر الثمانينات من القرن العشرين، بدأ التحرش الأمريكي يزداد قوة، ولما كانت كوريا الشمالية دول فقيرة لا تملك أي موارد طبيعية، فقد أثر الحصار الأمريكي فيها أشد التأثير، وبالرغم من ذلك استطاع الكوريين الشماليين أن يكوِّنوا قوة عسكرية ضخمة وترسانة نووية هائلة، وبقيت منعزلة منغلقة على نفسها متحملة التحرش والحصار والاستفزاز الأمريكي، حتى استكملت بناء برنامج الردع الصاروخي الفضائي التي كانت تعمل به سرًّا على مدار خمس عقود من الزمان، واستطاعت أن تخفيه عن أعين أجهزة المخابرات الأمريكية والمخابرات الغربية الأخرى المتعاونة معها، وكان هذا البرنامج بمثابة بداية النهاية لإمبراطورية الشر الأمريكية، ففي أحد فصول الشتاء القارص بكوريا الشمالية حيث كان هناك نقص شديد في إمدادات الوقود والغذاء بسبب الحصار الأمريكي مما تسبب في وقوع مجاعة رهيبة عمت جميع أرجاء البلاد، حتى بدأ الأطفال والعجائز يموتون من الجوع والبرد،

وهنا حسم قادة الحزب الشيوعي الحاكم بكوريا الشمالية أمرهم وقرروا غزو كوريا الجنوبية وضمها إليهم لتكوين دولة كورية موحدة، إنقاذًا لشعبها من الموت جوعًا، وقد خططت لذلك على النحو التالي:

١- توجيه ضربة نووية استراتيجية للقوات الأمريكية المتمركزة في كلًّا من كوريا الجنوبية واليابان والفلبين.

٢- غزو بري شامل بقوات ضخمة لكوريا الجنوبية وإبادة ما تبقى من قوات أمريكية بها.

٣- قصف الساحل الشرقي للولايات المتحدة الأمريكية بصواريخ عابرة للقارات تحمل رؤوسًا بيولوجية.

وفي الأول من يناير وفي أعياد الميلاد من عام ٢١٧٦م قامت كوريا الشمالية بفتح النار على القوات الأمريكية وأبادت نحو ١٥٠ ألف جندي أمريكي بكامل معداتهم، ثم قامت المدفعية الثقيلة بعيدة المدى بقصف المطارات والموانى والمصانع الحربية والطرق والكبارى داخل كوريا الجنوبية، واستمر القصف نحو خمس ساعات، أعقبه اجتياح أكثر من مليون جندي كوري شمالي لكوريا الجنوبية، واحتلوا

العاصمة «سول» في أقل من ثلاث ساعات بدون مقاومة تذكر، ومن جراء الضربة البيولوجية المباغتة والتي تلقتها ولايات الساحل الشرقي الأمريكي وقعت مذبحة رهيبة لنحو ٢ مليون أمريكي وباتت أمريكا على شفا الانهيار الداخلي، وجن جنون البنتاجون وأصيب بالسعار، وبات العالم متأكدًا من أنه سيقوم بمحو كوريا الشمالية من على خريطة العالم في أول رد فعل له، وبالفعل قام البنتاجون بإعلان حالة التعبئة في صفوف قواته النووية وقام بإطلاق ٣٠ صاروخًا عابرًا للقارات يحمل رؤوسًا نووية، وكان هذا العدد الضخم من تلك الصواريخ كفيلة بتدمير كوريا الشمالية خمس مرات، ولكن المفاجأة التي أذهلت العالم وقتها هي إطلاق كوريا الشمالية لصواريخ مضادة عبرت الغلاف الجوي للأرض ودمرت الصواريخ الأمريكية في الفضاء الخارجي قبل وصولها للأرض وحتى حطامها لم يصل للأرض، بل تناثر في الفضاء الخارجي، ولم ينجو صاروخًا واحدًا من ذلك، بل تم تدمير الثلاثين صاروخًا تدميرًا كاملًا، وهنا عرف العالم بأمر منظومة الدفاع الفضائي لكوريا الشمالية وأعاد البنتاجون المحاولة عدة مرات وبصور مختلفة،

غير أنها باءت جميعها بالفشل، وذلك بفضل دقة وكفاءة السلاح الجديد للكور الشماليين، والذين هددوا وقتها بأنهم سيستكملون قصف العمق الأمريكي بترسانتهم النووية إن لم تعلن الأخيرة استسلامها، ولما كانت أمريكا لا تمتلك منظومة مماثلة لصواريخ الردع الكورية، وبعد أن فقدت كل قواتها في المنطقة، وبعد أن دمرت الضربة النووية الإستراتيجية التي نفذها الجيش الكوري الشمالي بنجاح، حاملات الطائرات والقطع البحرية والمدمرات الأمريكية في المحيط الهادي، لجأت أمريكا لحلف شمال الأطلنطي وأوروبا لإنقاذها من هزيمة محققة، ولكن هزائمها الثقيلة أمام الكوريين والرعب الذي أصاب العالم بعد إبادة ولايات الساحل الشرقي الأمريكي بالسلاح البيولوجي الكوري الشمالي، أدى إلى التزام معظم دول أوروبا الحياد، ولكن الأمريكان دفعوا جيدًا لقادة هذه الدول ومن تمسك بموقفه قامت أجهزة مخابراتها بتصفيته، وقامت بتدبير انقلابات على البعض الآخر، وكمحصلة نهائية استطاعت بعد شهر ونصف من نفس العام أن تكوِّن جبهة قوية تضم بجانبها بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا وأستراليا وكندا والمكسيك وعدة

دول أخرى، وذلك للقيام بغزو كوريا الشمالية، وهنا أعلنت الأخيرة أنها تتكفل بالدفاع عن أي دولة تدخل الحرب ضد أمريكا والتحالف الغربي من أي هجمات نووية أو بيولوجية أو كيماوية، وشجع هذا الإعلان شعوب العالم المقهورة التي عانت لسنوات طويلة من القمع والتنكيل من أنظمتها الحاكمة المعينة من قبل أمريكا، وحدثت إطاحات جماعية في مناطق عديدة من العالم، وكان للمنطقة العربية نصيب الأسد من هذه الإطاحات، وتمت الإطاحة في اليابان بنظام الحكم الإمبراطوري الموالي لأمريكا، على يد جنرال ياباني قومي يدعى هاشيموتو والذي دعا للانتقام من الأمريكان على جرائمهم ضد الشعب الياباني في الحرب العالميه الثانية، حين قصفوا هيروشيما ونجازاكي بالقنابل الذرية بلا أي داعي أو أي ضرورة عسكرية أللهم إلا الإجرام والوحشية، وعلى الفور كانت اليابان هي أول من دخلت الحرب ضد أمريكا وتبعتها كلا من الصين وروسيا وفيتنام والفلبين ومعظم دول شرق آسيا كماليزيا وأندوسيا وسنغافورة وغيرهم، ولم يكن الإعلان الكوري الشمالي هو الدافع وراء تجمع هذا العدد المهول من البشر الذي بلغ عدده وقتها ما يزيد عن ٤ مليارات

نسمة، أي ما يساوى تقريبًا نصف سكان كوكب الأرض، بقدر ما هو كراهية شعوب الأرض لراعي البقر «المجرم» وكانت أمريكا وحلفاؤها تخطط للحرب كالآتي:

١ - قيام إسرائيل بالتعاون مع القوات الأمريكية الضخمة الموجودة بدول الخليج العربي بغزو واحتلال مجموعة الدول العربية للاستفادة من مواردها الضخمة وطاقاتها البشرية العملاقة بالإضافة إلى موقعها الاستراتيجي الشديد الأهمية.

٢ - غزو إيران وباكستان والصين بمساعدة الهند، ثم محاصرة كوريا الشمالية إلى أن ينفذ مخزونها من صواريخ شبكة الدفاع الفضائي، ومن ثم يتم اجتياحها، علمت الدول العربية بهذه النوايا فبادرت وبالتعاون مع باكستان وإيران وتركيا بضرب إسرائيل والقوات الأمريكية المتمركزة بالمنطقة ضربات قاسمة كبدت إسرائيل خسائر مروعة وقضت على معظم القوات الأمريكية في المنطقة، وكانت المفاجأة مذهلة لأمريكا وإسرائيل، بل وللعالم كله أن يتصرف العرب بهذه الجرأة التي لم يعهدها منهم منذ عدة قرون من الخضوع والاستسلام، وعلى الفور وكرد فعل انتقامي أطلقت كلًّا من

أمريكا وإسرائيل والتحالف الغربي وابل من الصواريخ المحملة برؤوس نووية وأخرى بيولوجية وكيماوية، استهدفت كلًّا من مثل مصر وسوريا والسعودية والعراق واليمن والسودان ولبنان والجزائر، بالإضافة إلى باكستان وإيران وتركيا، وهنا أوفت كوريا الشمالية بوعدها واستخدمت شبكة دفاعها الفضائي في إجهاض هذا الهجوم وإفشاله، وبالفعل لم يسقط أي صاروخ على أي دولة عربية، وهنا أيقن العرب أنه ليسوا بمفردهم وأن مصالح الحلف الأسيوي تتفق مع مصالحهم، وعليه وفي ١٦ مارس من عام ٢١٧٦م اجتاحت جيوش كلًّا من مصر والسودان وليبيا والعراق وسوريا ولبنان والأردن إسرائيل بقوات ضخمة قدرت بنحو ثلاثة ملايين جندي ٨٠٪ منهم مصريين وسوريين، واحتلوا تل أبيب في أقل من ست ساعات، وقام الجيش المصري وقتها بإبادة القوات الإسرائيلية حتى آخر جندي والتي كانت تقدر بحوالي مائتي ألف جندي، واستولت القوات العربية على المفاعلات النووية الإسرائيلية، وكانت أربعة مفاعلات عملاقة، وعلى عدد ضخم من الرؤوس البيولوجية والكيماوية وعلى عدد كبير من القنابل النووية قدرت وقتها بـ١٥٠ قنبلة، وفي نفس

العام وفي القدس المحررة أعلن العرب عن قيام دولتهم الموحدة تحت اسم «الولايات المتحدة الإسلامية» وعاصمتها مدينة «القدس» وتطبيق الشريعة الإسلامية كدستور للدولة، والعمل بنظام الخلافة الإسلامية، وتم إنشاء جيش إسلامي موحد يقدر بحوالي ١٥ مليون جندي، ولأول مرة أصبح العرب يمتلكون أسلحة نووية وجيش مهول، والأهم من ذلك كله أنهم أصبحوا يمتلكون إرادتهم.

كانت الحرب بالنسبة للعرب قد انتهت عند هذا الحد، ولكنهم وكالتزام أخلاقي ظلوا معلنين حالة الحرب ضد أمريكا وحلفائها دون اشتراك فعلي في المعارك، ولم يكن التحالف الأسيوي يريد أكثر من ذلك، وفي ١٦ من ديسمبر من عام ٢١٧٦م وهو عام انتهاء الحرب، قام الحلف الأسيوي بضرب العواصم الأوربية المتحالفة مع أمريكا ضربات نووية وجرثومية وكيماوية شرسة تسببت في فظائع وقتلى بالملايين، في حين قام الجنرال القومي الياباني هاشيموتو بتوجيه ضربة نووية انتقامية لواشنطن ونيويورك وكاليفورنيا، واجتاحت جيوش التحالف الأسيوي بعد ذلك الأراضي الأمريكية

وقسمتها فيما بينها، وقام الجيشين الكوري والياباني بارتكاب مجازر وفظائع لما تبقى من القوات الأمريكية، في حين بدا الروس والصينيين أكثر تعقلًا، وكانت ولايات الشمال والجنوب من نصيب الروس، بينما استولى الكوريين على ولايات الشرق والغرب، في حين كانت ولايات الوسط الأمريكي من نصيب اليابانيون والصينيون.

وفي هذه الأثناء ومنذ قيام دولة الوحدة العربية عام ٢١٧٦م انتهج العرب سياسة عزلة وانغلاق استمرت ٢٧عامًا، حققوا فيها معدلات إنتاج مهولة على الصعيد الزراعي والصناعي والعسكري، بعد أن أصبحت مواردهم ومقدراتهم في حوزتهم لأول مرة، واستطاع العلماء العرب أن يكتشفوا سر تصنيع منظومة الردع الصاروخي الفضائي في أقل من ثلاث سنوات من قيام دولة الوحدة، وفي عام ٢١٩٦م استطاع العلماء العرب أن يطورا العديد من أوجه التطبيقات الصناعية لأشعة الليزر في مختلف المجالات، وخصوصًا المجال العسكرى، هؤلاء العلماء الذين طالما ذبحوا في الماضي على يد أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية، ثم بدأ

العرب بعد ذلك ينفتحون على العالم وقضاياه، وقد أخذوا على عاتقهم الدفاع عن المسلمين في كل مكان في العالم، وظهر ذلك بوضوح في إبريل من عام٢٢٠٢م، وفي أمريكا المقسمة بين روسيا واليابان والصين وكوريا، وفي إحدى ولايات الشمال التابعة للسيطرة الروسية، أراد الروس إزالة أحد المساجد الكبيرة في إطار إنشاء بعض التجمعات الصناعية للمهاجرين الروس القادمين من أوكرانيا وجورجيا، وهنا طالبت وزارة الخارجية الإسلامية بالتوقف عن هدم المسجد وتحسين معاملة العرب والمسلمين في المناطق الخاضعة للسيطرة الروسية، وهو ما اعتبره الروس تدخلًا في شئونهم الداخلية، وردوا على ذلك بهدم المسجد، ولم يكتفوا بذلك بل عقد التحالف الأسيوى (الكوري، الروسي، الياباني، الصيني) اجتماعًا طارئًا بناءًا على طلب روسيا للرد على التدخل العربي في شئونهم، وقرروا طرد العرب والمسلمين من جميع أنحاء أمريكا، ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم، وعلى الفور أعلنت الولايات المتحدة الإسلامية حالة التعبئة العامة في صفوف قواتها المسلحة، والتي ستستخدم ولأول مرة سلاح الليزر في تاريخ الحروب، كان التحالف الأسيوي يعتقد أنه

القوى العظمى الوحيدة في العالم، ومن ثم بادروا بقصف الولايات المتحدة الإسلامية بوابل من الصواريخ العابرة للقارات، والتي تحمل أسلحة دمار شامل وإبادة جماعية، وبات العالم ينتظر حربًا عالمية رابعة، ولكنه ذهل حينما رأى على شاشات التليفزيون وفي جميع وكالات الأنباء العالمية أشعة الليزر تنطلق من طول البلاد العربية وعرضها وتنسف هذا الوابل الضخم من الصواريخ الأسيوية في الجو قبل أن يصل للأرض، دون أن يفلت صاروخًا واحد، وازداد العالم ذهولًا حين رأى دبابات ومقاتلات وقطع بحرية ومدمرات وغواصات كلها تستخدم أشعة الليزر في ضرب أهدافها بدلا من القذائف والصواريخ.

طفرة مذهلة أحدثت فجوة واسعة بين العرب وباقي الأمم، تقدر بنحو قرنين من التقدم العلمي لصالح العرب، استطاعوا أن يحققوها فقط في أقل من ثلاثة عقود من توحدهم على القرآن والسنة، وتوجهت حاملات الطائرات الإسلامية نحو القارة الأمريكية وقامت المقاتلات الإسلامية والقاذفات والدبابات والقطع البحرية والغواصات بضرب

قوات التحالف الأسيوي واجتاح ٢مليون جندي عربي مزودين ببنادق الليزر القارة الأمريكية، واستسلم مئات الآلاف من قوات التحالف الأسيوي حين أدركوا أن التصدي للقوات العربية هو الانتحار بعينه، وتم طردهم وإجلاء رعاياهم في إطار اتفاقية الاستسلام والجلاء التي وقعتها معهم الولايات المتحدة الإسلامية، وفي خلال ثلاثة أشهر من انتهاء العمليات العسكرية كان يوجد ٣٥ مليون عربي مسلم استوطنوا أمريكا و١٥ مليون قد استوطنوا كندا و٩ مليون بالمكسيك وخضعت هذه الدول لسيطرة الحكومة الإسلامية بالقدس، وبعد هذا الانتصار الساحق قررت القيادة الإسلامية وقتها إنشاء الجيش الإسلامي الرابع (كتائب الصديق أبوبكر)، وكان يقدر بنحو مليون جندي فضلًا عن خمس حاملات طائرات، وسبع غواصات، وعشر قطع بحرية ومدمرات، انتشرت كلها في المحيط الهادي لحماية الساحل الأمريكي بعد أن أصبح ولاية إسلامية، وكان مقر قيادة هذا الجيش في العاصمة السابقة «واشنطن» التي أصبحت تعرف بـ «الدرة»، وأيقن العالم أن الولايات المتحدة الإسلامية أصبحت القوى العظمى الوحيدة في العالم،

وتأكدوا تمامًا بما رأوه من انتصارات ساحقة، وآلة حرب إسلامية لا يستطيع البشر الوقوف في وجهها.

إن المسلمين أصبحوا -وإن شأنا الدقة قلنا: «رجعوا»- الأسياد الجدد للعالم، وشجع ذلك المسلمين في كل مكان في العالم على التوحد فيما بينهم، وطلب الحماية والدعم من الولايات المتحدة الإسلامية، ففي عام ٢٢٠٣م قامت كلًّا من (كازخستان، أوزبكستان، طاجكستان، أذربيجان، تركمانستان، قرقستان) بالوحدة مكونين دولة كبيرة غطت مساحتها أكثر من نصف مساحة آسيا، وأطلقوا عليها (ولايات آسيا الإسلامية)، وطلبوا الوحدة مع الولايات المتحدة الإسلامية، وعلى الفور لبى خليفة المسلمين هذا المطلب، وأرسل قوات ضخمة تقدر بنحو مليون جندي لحماية هذه الدولة الناشئة من أي اعتداء روسي، وكانت هذه القوات بالإضافة إلى القوات المسلحة لهذه الجمهوريات السوفيتية السابقة هي الجيش الإسلامي الخامس بآسيا، والذي أطلق عليه (كتائب سعد ابن أبي وقاص)، ثم أسرع مسلمي الشيشان وداغستان بطلب تدخل الولايات المتحدة الإسلامية

لتحريرهم من الاحتلال الروسي الذي دام لعدة قرون، ذاقت فيها تلك الشعوب الويلات على يد الشيوعيون الروس، وبالفعل قام قائد الجيش الإسلامي الخامس بآسيا بإلقاء بيانًا محذرًا فيه الروس بأنهم إن لم ينسحبوا من هذه الأراضي الإسلامية في غضون ثلاثة أيام فإن الجيش الإسلامي الخامس سيقوم في اليوم الرابع بغزو موسكو، ولم ينتظر الروس مهلة الثلاثة أيام بل انسحبوا في أقل من يومين، وبذلك انضمت كلا من جمهوريات الشيشان وداغستان وأنجوشيا إلى ولايات آسيا الإسلامية، وكانت منطقة جنوب شرق أسيا بالإضافة للهند والصين مناطق اضطهاد وتنكيل بالمسلمين، ففي الهند يوجد مسلمي كشمير، وفي الصين مسلمي تركستان وجنوب الفلبين المسلم والاضطهادات والقتل الجماعي للمسلمين في تايلاند وبورما وكمبوديا، ولذلك قرر الجيش الإسلامي الخامس التدخل والدفاع عن المسلمين في هذه المناطق وفي نفس العام اجتاح الهند والصين ودول جنوب شرق آسيا بلا مقاومة تذكر، في حين دخل أكثر من ٩٠٪ من اليابانيين والكوريين في الإسلام، ثم انضمت بعد ذلك كل من إيران وأفغانستان وباكستان وأندونسيا وماليزيا وبقية دول آسيا

إلى الولايات المتحدة الإسلامية، وبذلك خضعت قارة آسيا بأكملها إلى الحكم الإسلامي المباشر، وشجع ذلك كلًّا من جمهوريات تركيا والبوسنة والهرسك ومقدونيا وكوسوفو وألبانيا أن تحذو حذو مثيلاتها الأسيوية، وأن تتوحد مكونة ما أطلقت عليه (ولايات أوروبا الإسلامية) وطلبوا هم أيضًا الانضمام للولايات المتحدة الإسلامية، وكان الرد من قبل المسلمين العرب بالقبول والترحاب وأرسلواقوات ضخمة كانت تقدر بنحو ٢مليون جندي إلى هذه الولايات وأنشأوا الجيش الإسلامي السادس بأوروبا والذي أطلقوا عليه (كتائب خالد بن الوليد) وبعد ذلك بنحو ثلاثة أشهر قام الجيش البوسني وكان أحد فيالق الجيش الإسلامي السادس باجتياح جمهوريات صربيا والجبل الأسود وكرواتيا وقاموا بإبادة نحو ٢مليون جندي نظامي وكان هذا العدد الضخم يمثل مجموع القوات النظامية لهذه الجمهوريات والتي كانت تعرف في السابق بجمهورية «يوغسلافيا» وجاء هذا الإنتقام العنيف من قبل الجيش البوسني نظرًا للمجازر والمذابح التي ارتكبها الصرب والكروات لمسلمي البوسنة والهرسك على مدار عدة قرون وبعد ذلك التاريخ بعامين حدث تمرد في

هذه الجمهوريات بدعم سرى من روسيا واليونان فما كان من الجيش الإسلامي السادس (كتائب خالد) إلا أن اجتاح أثينا في أقل من نصف ساعة وتزامن ذلك مع اجتياح الجيش الإسلامي الخامس بآسيا لموسكو حيث قام الفيلق الشيشاني وقتها بإبادة القوات الروسية أنتقاما لعهود طويلة من القتل والتعذيب على يد الجيش «الأحمر» ويشاء الله العلى القدير أن يكون قائد هذا الفيلق الذي دخل موسكو واستولى على الكرميلين بل وأصبح حاكما لروسيا من قبل خليفة المسلمين يشاء الله أن يكون هو أحد أحفاد الزعيم الشيشاني أصلان ماسخدوف الذي قتلته القوات الروسية وهو يقاتل من أجل استقلال الشيشان وبذلك دانت أوروبا بأكملها للحكم العربي في حين حصلت كلا من بريطانيا وألمانيا وفرنسا (باستثناء الجنوب) وإيطاليا والنمسا وبلجيكا ودول اسكندنافيا (النرويج، السويد، الدنمارك) عل حكمًا ذاتيًّا مشروطًا بالآتي:

١- تسريح جيوش تلك الدول.

٢- تمركز وحدات من الجيش الإسلامي السادس بها.

٣- تقوم تلك الدول بدفع ٢٥٪ من دخلها القومي للولايات المتحدة الإسلامية مقابل حمايتها من أي اعتداء، وتمثل تلك النسبة ما كانت تنفقه هذه الدول على تسليحها.

وطلبت أسبانيا والبرتغال وقتها المعاملة بالمثل ألا أن العرب رفضوا ذلك وضمواهما أليهم وأعادوا إليها اسمها العربي «الأندلس» وعادت كما كانت من قبل ولاية عربية إسلامية ثم منحت الولايات المتحدة الإسلامية حكمًا ذاتيًّا لدول أمريكا الجنوبية وأستراليا بنفس الشروط التي حصلت بمقتضاها دول أوروبا الخمس على حكمها الذاتي، وتمركزت بهذه البلاد وحدات من الجيش الإسلامي السابع بأمريكا الجنوبية (كتائب الفاروق عمر) ووحدات من الجيش الإسلامي الثامن بأستراليا (كتائب علي بن أبي طالب).

وبنهاية عام ٢٢٠٥م كان المسلمون يحكمون العالم بقاراته الست، وقد ملئوه بالعدل والحق والرحمة بعد قرون وعهود طويلة ذاق فيها الآلام والويلات على يد آكلي لحوم البشر ومصاصي الدماء.

٤- الحب المستحيل..

شعر شهاب بأيد حانية تربت على كتفه بعد أن غلبه النوم ليلة أمس وهو يتجول بين سطور الكتاب....كتاب التاريخ والتاريخ ماضي ولكنه بالنسبة له لم يكن أبدًا كذلك فلقد كان كل حرف قرأه هو في واقع الأمر مستقبل..... مستقبل بعيد وقد استطاع من خلال الكتاب أن يعرف الكثير والكثير عن هذا العصر وعن الولايات المتحدة الإسلامية التفت لجد سلوى الذي بادره بابتسامة حانية ولا زالت يده معلقة على كتفه وهو يقول:

- لقد أذَّن الفجر يا ولدي هيا بنا للصلاة، وإن شاء الله سيجعل لك مخرجًا، فمن يتق الله يجعل له مخرجًا، بادره شهاب بابتسامة صافية قائلًا:

- صدق الله العظيم.

استعد الجميع للصلاة ثم وقف شهاب على يمين الجد في حين وقفت سلوى خلفهم بمسافة مناسبة، وصلى الجميع بخشوع لله الواحد الأحد طالبين منه الرضا والمغفرة، وما أن أنهوا صلاتهم حتى بادر الجد بإعطاء شهاب نسخة من القرآن

الكريم في حين كانت سلوى قد شرعت بالفعل في القراءة، وهكذا أخذ ثلاثتهم يقرأون بخشوع حتى أوشكت الشمس على الشروق، فقام الجميع ليصلوا صلاة الشروق، وما أن فعلوا حتى وجَّه الجد حديثه لشهاب قائلًا:

هل تعلم يا ولدي أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«جعلت قرة عيني في الصلاة»**.

شهاب: نعم يا جدي صدق رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فلكم نحن في أشد الحاجة لوجوده معنا في هذا العصر.

الجد: إنه بالفعل معنا يا ولدي فمادامت سنته باقية فينا حتى قيام الساعة فهو معنا ألم يقل: **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي»**.

شهاب: ولكن ماذا يا جدي عن العصور التي هجرت سنته ووضعت كتاب الله في المتاحف وتداعت عليها المجرمون والقتلة من كل مكان بحيث باتوا يذبحوا ذبح الخراف بلا حامي بلا سند بلامعين بدت كلماته له مبهمة.... غامضة مما دفعه لآن يقول باستغراب هون عليك يا ولدي أننا الآن وبفضل الله الذي مكننا من تطبيق الشريعة الإسلامية

والسنة المطهرة أصبحنا أسياد العالم فلم كل هذا الأسى أنك تبدوك.. قاطعه شهاب وقد أحس أنه بدأ يتخلى عن حذره:

ــ عذرا يا جدي ثم أشار بيده للكتاب وهو يقول فلقد طاف بي هذا الكتاب في عصور كئيبة كان المسلمون يذبحون فيها ليل نهار.

الجد: نعم يا ولدي فلقد أخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك وقبل أن يوجد هذا الكتاب بعدة قرون حين قال: «**يأتي زمان على أُمتي تتداعي عليهم الأمم كما تتداعي الأكلة على قصعتها**» وحين سأل الصحابة: أمن قلة يومئذ هم يا رسول الله؟ قال: «**لا بل هم يومئذ كثيرون ولكن غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب أعدائكم الرعب وليقذفن في قلوبكم الوهن**» فقالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»، كانت سلوى منصة طيلة الوقت حتى قالت: يبدو أنك مغرم بالتاريخ لدرجة تجعلك تقضي طيلة الليل جالس على كرسيك حتى يغلب النعاس ولا تشعر بي أنا وجدي ونحن نصلي صلاة القيام.

شـهاب مخاطبًا إياها بود: إن كان تاريخًا مبهجًا كهذا فأنا لسـت مغرمًا به فحسـب، بل إني أعشقه عشـقًا. بدت كلماته لها مبهمة مما دفعها لأن تقول باسـتغراب وهي تنظر للكتاب: «مبهج» وهل حربًا راح ضحيتها الملايين أمر مبهج؟

شهاب: بل أن المبهج هو زوال امبراطورية الشر الأمريكية مـن الوجود وحلم الوحدة العربية الـذي تحقق أخيرًا بعد أن أصبـح في زمـن ما حلمًا أسـطوريًا خرافيًا غير قابـل للتحقيق عـلى أرض الواقـع بل أنه في بعض الفـترات المؤلمة من تاريخنا عجـز الكثير حتى عـلى مجرد الحلم بهذا الحلم نظرت سـلوى إليه وقالت في مرح:

– يبدو أنك مغرم بالسياسة أيضًا. رد عليها مداعبًا:

– يبـدو أنه لا يوجـد طعام في هذا البيـت وهنا لم تتمالك نفسـها من الضحك وضحك جدهـا أيضًا الذي كان ينصت للحديث بينهما على تلك الدعابة وأردفت وهي تضحك:

– حـالًا سـيكون الطعـام جاهـز ثـم ذهبـت للمطبـخ وقلبهـا يكاد يرقص فرحًا لسـبب ما سـبب غامـض..... مجهـول لا تعـرف ماذا يكـون لكنها تعرف جيـدًا أنها الآن في

منتهى السـعادة، لم تسـتغرق كثيرًا من الوقت في إعداد بعض الوجبات السريعة لتعود لتجد شـهاب قد عاد لكتابه الحميم مـرة أخرى وقد أخذ يقلـب صفحاته بنهم شـديد في الوقت الـذي أخذ فيه جدها يرقبه بتمعن وكأنه يحاول النفاذ لداخله لكشـف ذاك الغموض الذي أحاط بهذا الشـاب هذا الشاب الذي لا يعرف عنه شيء ولكنه شـأنه شـأن حفيدته لا يملك إلا التعاطف معه وإن كان التعاطف لا يفي مطلقا بما تشعر به الأخيرة نحوه قطعت الأخيرة أو سلوى ذلك كله حين قالت بمرح:

- الطعام جاهز.

وما أن رآها شهاب حتى ترك الكتاب ونهض يحمل عنها الطعـام ويضعه عـلى أحد المناضـد وهي تنظر إليـه بإعجاب قائلة: تبدو لي كأحد الأدباء أو السياسيين أو..... قاطعها بقولـه: أو مـاذا أيضًا يكفي ذلك فلسـت شـيئًا مـن هذا على الإطلاق نظرت إليه بتعلق وهي تقول: إذن من تكون؟

شـهاب وقد حـاول أن يغير دفة الحديـث كي يهرب من الإجابة:

– أخبرني جدي أنه اليوم صائم ألم تخبريني أمس أن موضوع السبق الصحفي لم يعد يهمك الآن؟ نظرت إليه بنظرات معاتبه ولم تحرر جوابا بل بقيت صامته وهنا شعر شهاب أنه ما كان يجب أن يقول ذلك وأسرع لاسترضائها قائلًا: أعدك بأن أخبرك بكل شيء عن نفسي فور أن تسمح الظروف بذلك أما الآن فعندي ما هو أهم وأرجوا أن تساعديني على تحقيقه و..... قاطعته بلهفة وقد عادت إليها بهجتها بعد كلماته الأخيرة: إنني على أتم الاستعداد، فقط قل لي بماذا أستطيع أن أساعدك وتأكد أنني لن أتردد.

شهاب: هل تستطيعين مساعدتي في العمل معكِ بالجريدة.

بدا لها طلبًا مفاجئًا ولكنه زاد من حجم سعادتها، وظهر ذلك بوضوح على وجهها وهي تقول:

– يبدو أنك كما أخمن وأراهن أنك لن تخرج عن كونك أديبًا أو مفكرًا أو ربما شاعر ابتسم شهاب وأردف قائلًا:

– إذًا أنت ترحبين بالفكرة.

سلوى: سأتحدث فور وصولي للجريدة مع رئيس التحرير عن حاجتي لمن يساعدني في التحقيق الصحفي الذي أعمل به، وسأزكيك عنده وأنا متأكدة أنه لن يمانع.

بدا على شهاب مظاهر السعادة وهو يقول بحماس: إذًا هيا بنا للجريدة.

سلوى: هل ستأتي معي؟

شهاب: بالطبع.

سلوى: ولكن أنسيت أن هناك من يبحثون عنك؟ وانـ.....قاطعها بقوله: لن أبقي مختفيًا للأبد وأترك ما جئت من أجله، فالوقت ليس في صالحي كما أنني لم أفعل شيئًا أخاف منه، وهنا أحس أنه بدأ يفقد حظره معها وبالفعل وكما توقع اندفعت تسأله وما الذي جئت من أجله؟ ومن أين جئت؟ ولـ..... قاطعها بلطف: سلوى أنسيتِ ما اتفقنا عليه وأنني سأشرح لك كل شيء في الوقت المناسب؟

سلوى: وهو كذلك يا شهاب هيا بنا، وغادروا المكان متوجهين لسيارتها بعد أن عبروا حديقة الفيلا وخرجوا للشارع المليئ بأشجار النخيل العالية التي اصتفت على جانبيه وبأشجار أخرى كثيفة حيث منعت عنه ضوء الشمس بحيث بات شارع مغلقا من أعلى بهذا السقف النباتي وبينما هم متوجهين كي يستقلا السيارة إذ تنشق الأرض عن خمسة

أشخاص ضخام البنية يبدو العداء واضحا على ملامحهم ولم يضيعوا الكثير من الوقت وإذ بأحدهم يخاطب شهاب بلهجة سوقية قائلًا وهو يشير لسلوى: أتركها وانجوا بنفسك أيها الوسيم وفور سماع سلوى لذلك انتابها الرعب والهلع وأخذت تنظر لشهاب وقد استبد بها الذعر فهاهم خمسة أشرار يحاصرونهم في شارع جانبي يندر مرور أحد به والأهم من ذلك أن شبكة الردع ستقف محايدة ولن تتدخل بدا شهاب رابط الجأش وقد أخذ يداعب سلوى قائلًا: يبدو أن شبكة الردع تلك في أجازة هذا اليوم. نظرت إليه سلوى والرعب يطل من عينها وهي تقول همسًا وكأنها تخاف أن يسمعها هؤلاء الأشقياء: ماذا سنفعل يا شهاب؟

شهاب: لا تقلقي ثم أدخلها سريعًا لسيارتها وبقفزة أذهلت هؤلاء الخمسة أصبح بينهم تمامًا بعد أن كانوا يبعدون عنه بنحو ثلاثة أمتار تقريبًا، ولم تكد قدماه تستقران على الأرض حتى غاصت قدمه اليسرى في معدة أحدهم قبل أن تطيح به وتخرجه نهائيًّا من الصراع لكمة خطافية، بدا شهاب من خلالها كأحد أبطال الملاكمة المحترفين، ثم مال

بجسمه إلى الوراء متفاديًا لكمة أحدهم، ثم هوى بسرعة البرق على عنقه براحة يده بضربة شديدة الإتقان من ضربات الكاراتيه، أفقدته وعيه على الفور، وحين حاول أضخمهم أن يشل حركته وأن يقيده من الخلف تركه شهاب يعتقد ذلك ثم مال برأسه للأمام ثم عاد ليدفعها بقوة للخلف لترتطم بأنفه وتتدفق الدماء منها بغزارة، وقد وضع يديه عليها وأخذ يصرخ من شدة الألم إلى أن شهاب لم يمهله فقد دار بجسمه مرتكزًا على إحدى قدميه ودفع الأخرى بقوة في بطن هذا الضخم في ركلة خلفية معقدة من ركلات الكاراتيه أطاحت به بعيدا عدة أمتار عن أرض المعركة ولم يتبقى ألا أثنين ولم يكونا بأسعد حالًا من سابقيهم فلقد أنقض عليهم شهاب بوابل من اللكمات والركلات المتقنة الشديدة التعقيد بسرعة بدت لهؤلاء المساكين خرافية وفي خلال عدة ثواني كان قد أطاح بهم بعد أن جعل أحدهم يبتلع نصف أسنانه والآخر لم تعد تصلح معدته للعمل مرة أخرى كانت سلوى تراقب ما يحدث بذهول ولم تكن الوحيدة التي أصابها هذا الذهول فلقد كان علاء في مكان ما يراقب ما يحدث وقد كاد يجن جنونه مما رأى.

أسرع شهاب وركب السيارة في انتظار أن تنطلق سلوى لكنهـا أخذت تحدق به بمزيج من الانبهار والإعجاب إلا أن انتزعهـا مما هـي فيه بقوله ممازحا: هل تنتظر سـيدتي أحد ما؟ وهنا أدارت سلوى محرك سيارتها وانطلقت لا تعرف إلى أين تذهب بعد أن أفقدها الأنفعال والتأثر كامل تركيزها شـعور جـارف ملك عليها نفسـها بحيـث باتت عاجـزة عن تحويل بصرها عن شهاب الذي أخذ ينظر إليها هو الآخر برفق وهو يقول: هل لازلت خائفة؟ سلوى وكأنها تعيش في حلم جميل لا تـود أن تسـتيقظ منـه بحيث باتـت الكلمات تناسـب منها بتلقائية وهي تتحدث بإحسـاس مفعم بالسـعادة والنشوى: ومم أخاف وأنا معك؟

شهاب: وماذا لو كنت أنا الذي أشعر بالخوف؟

نظـرت إليـه بـكل انبهـار الدنيـا وقالـت: لا أعتقد أنك عرفت الخوف يومًا.

شـهاب: ليس لهـذه الدرجة فنحن بشر، ومـا دمنا كذلك فلابـد أن نشـعر بالخـوف وصدقينـي لقـد شـعرت بـه اليوم يهاجمني بقوة خشـية أن يصيبك مكـروه نفذت تلك الكلمات

إلى قلبها مباشرة وشعرت أنها تحلق في فضاء رحب لانهائي وقد اختفى الغموض وتلاشت الشكوك وأصبحت على يقين الآن أنها تحب هذا الرجل لم يمر وقت طويل قبل أن تردف قائلة: ها قد وصلنا وسنتوجه من فورنا لرئيس التحرير

شهاب: أفضل الانتظار في مكتبك حتى تعودي تلافيًا لأي إحراج.

سلوى: كما تشاء ثم توجهت لرئيس التحرير بعد أن ذهبت بشهاب إلى مكتبها ولم يستغرق الأمر الكثير من الوقت مع رئيس التحرير فما هي ألا بضع دقائق حتى شكرته على موافقته في أن يشرك شهاب معها في تحقيقها كأول عمل له كمحرر صحفي بالجريدة هذا التحقيق المزمع عمله عن الدكتور صادق عز الدين ومشروعه المثير وهي في طريق عودتها لمكتبها حيث يوجد شهاب ودت لو أطلقت ساقيها للرياح لتلقاه وتخبره بما فعلت والفرحة والسعادة قد تمكنت منها لدرجة أنها لم تنتبه أو تلتفت لزميلاتها المقربات اللاتى أخذن في إلقاء التحية عليها دون جدوى فلقد كانت في عالم آخر وبينما الوضع هكذا إذ بمن ينتزعها انتزاعا من ذلك كله

بعد أن استوقفها محاولًا التحدث إليها وكان علاء الذي أول ما أن رأته حتى تذكرت على الفور أمر المهاجمين الخمسة، وبالرغم من رقتها البالغة، إلا أنها انفجرت تصرخ في وجهه قائلة: اسمع يا هذا، إن لم تتوقف عن أعمالك الصبيانية تلك سأجعل «خطيبي» يحطم رأسك كما فعل بمن أرسلتهم، ثم تركته وانصرفت مسرعة بعد أن نزلت تلك الكلمات عليه كالصاعقة، وكاد جسده الفولاذي الضخم أن يهوي أرضًا بعدما ترنح من فعل تلك الكلمة «خطيبي» ألقتها في وجهه في محاولة منها أن تجعله يكف عن مضايقتها، وأن يتخلى عن أوهامه أو هكذا حاولت أن تقنع نفسها، ولكنها ومن أعماقها كانت تتمنى وبقوة كما لم تتمنى شيء من قبل أن تصبح تلك الكلمة واقعًا وحقيقة، ودخلت لمكتبها حيث كان شهاب جالسًا يتصفح إحدى الجرائد، وألقت بنفسها على أول كرسي قابلته وقد بدا على وجهها الحنق والغضب، ولاحظ شهاب ذلك فخاطبها قائلًا: ما الأمر يا سلوى؟

سلوى: لا شيء بعض المشاكل المعتادة نظر إليها قائلًا: أهي بسببي؟ الم يوافق رئيس التحرير على.....قاطعته

قائلة لا على الإطلاق ثم أخرجت من حقيبتها بطاقة هوية «كارنيه» العمل بالجريدة وأعطته لشهاب الذي أخذه منها دونما اكتراث ودون أن ينظر حتى إليه ثم أردف قائلًا: أذن ماذا بك؟ هل في الأمر أسرار؟ وهنا ابتسمت سلوى قائلة: أسرار! لقد استحوذت أنت على أسرار الكون ولم تبقي لبقية البشر ما يخفونه.

ابتسم شهاب وهو ينظر إليها قائلًا: بالرغم من أنني في وضع لا يمكنني من مساعدة أحد ألا أنني لن أتردد في فعل أي شيء يز.....قاطعته بود: لست في حاجة لقول ذلك بعد ما رأيته بعيني اليوم وأنت تدافع عني بشجاعة منقطعة النظير وأن كان الأمر يتعلق بحادثة اليوم.

شهاب: كيف؟

بدأت سلوى تقص عليه حكايتها مع علاء وهيامه بها وإبعادها المستمر له ومحاولاته التي لا تنقطع والتي كانت حادثة اليوم هي إحداها وظلت تروي وشهاب منصت، وما أن انتهت حتى أردف شهاب قائلًا وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عذبة: معه حق.

سلوى: ماذا؟

شهاب: أقول أن نار الغيرة تأكل قلب هذا العاشق، ونداء القلوب أقوى بكثير من صوت العقل.

سـلوى: ولكننـي كما قلت لـك لا أبادله أي مشـاعر وما فعلـه اليوم مـن تحريض هؤلاء الأشـقياء يعد عمـلا إجراميا يعاقب عليه القانون بشـدة.....قاطعها مداعبا: دعك من هذا كله ولا تقلقي بعد الآن فإن حمايتك أصبحت مسـئوليتي بعد أن صرنا خطيبين ضحكت سلوى وارتسمت على وجهها ابتسـامة شـديدة الصفاء وهي تقول: لكنك خطيبي بالإكراه بعد أن ورطك في ذلك.

نظر إليها شـهاب قائلًا بود: من يعرف؟ فلو كنا في زمان آخـر ومـكان آخر لكنت أسـعد سـكان هـذا الكوكب بتلك الورطـة وهنـا أحمـر وجهها خجـلا على نحـو ملفـت للنظر وأخـذت تحـاول باسـتماتة أن تخفـي طوفـان السـعادة الذي غمرهـا حتى النخـاع وصمتت لبرهـة إلا أن اسـتطاعت أن تتمالك بعض نفسـها ثـم أردفت قائلـة: والآن هل عندك أي تصور للخطوات القادمة ولا تنسى أنه يوجد من يلاحقنا.

شهاب: نعم أعرف ذلك ولذلك يجب أن نسرع ويجب أن أقابل الدكتور صادق عز الدين بأسرع وقت.

سلوى: وهل تعرفه؟

شـهاب: بالطبع ليست معرفة شـخصية ولكن لقد..... قاطعتـه قائلـة: المهـم هل تعتقـد أنه يسـتطيع أن يسـاعدك؟ أردف شـهاب قائـلًا بحـماس: أنـه الشـخص الوحيـد الذي يمكنه مسـاعدتي تخلت سلوى عن دهشتها وأخفتها بداخلها وقالت: وهو كذلك هيا بنا إذا.

٥- الماضي والمستقبل..

ضحـك الرائد صلاح ثم أردف قائلًا وهو ينظر لصديقه الحميـم: أذن فلقـد فاز أحدهم بقلب ليـلاك هب علاء واقفًا والغضب والحنق يعصفان بـه وهم بالانصراف قبل أن يبادر صـلاح باللحاق به وتهدأتـه قائلًا: هوّن عليـك يابطل الأمر أبسـط مـن ذلك بكثـير، لا....قاطعه عـلاء ولازال الغضب والحنق يعلوان وجهه: لن تفهم أبدا لأنك بلا قلب ولم تعرف في حياتك معني الحب و.....قاطعه صلاح ساخرا: الحب! يبدو أنك نسيت أننا أصدقاء منذ الطفولة وأنني أعرفك جيدًا دائـمًا ودومًـا تتطلع إلى مـا هو بعيد عـن متناول يـدك، وفور حصولك عليه تمله وتزهد فيه.

عـلاء وقد ذهب عنـه بعض غضبه وهو يقـول بانفعال: أبـدًا يـا صلاح الأمـر ليس كذلـك إننـي بالفعـل أحبها، بل أعشـقها عشـقًا بدليل أنني عرفت الكثير قبلها ولم يخفق قلبي لأحد سـواها، وقد حاولت مرارًا أن أنسـاها وسافرت كثيرًا هنا وهناك وأحرزت الكثير من البطولات والألقاب، وتعلم جيـدًا أنه بإشـارة من إصبعـي أسـتطيع أن أحصل على حب

العشرات من المعجبات وبالرغم من ذلك كله فأنني لم أنساها ولو للحظة واحدة أنك لو رأيتها لأدركـ.....قاطعه صلاح: أنني لست بحاجة لأن أراها فالنساء كلهن تركيبة واحدة إذا أهملتهم فسيسعون إليك وإذا فعلت كما تفعل أنت الآن فالنتيجة واضحة أمامي.

علاء: يا صلاح أفهمني أنني لا أستطيع أن أصف لك حالتي منذ أن رأيت خطيبها المزعوم هذا ثم زادت حدته وانفعاله وهو يقول أنني أحترق يا صلاح....أحترق.

بلغ الأمر مع علاء مبلغه ولاحظ صلاح ذلك فأراد أن يغير دفة الحديث اشفاقا منه على صديق الطفولة فأردف قائلًا: ولكن أخبرني ياعلاء ماذا تقصد بمزعوم وأنت تتحدث عن هذا الرجل الذي ظهر في حياة فتاتك أليس خطيبها بالفعل؟

علاء: بالطبع لا.

صلاح: ولم كل هذه الثقة؟

علاء: أنني فأنني أعرف كل خطوة تخطوها في البيت والجريدة والشارع وكل مكان تذهب إليه أنني أعرف قل أقاربها ومعارفها حتى زملاءها في الدراسة أعرفهم جميعًا وهذا

المزعـوم ليـس واحد من كل هؤلاء أننـي لا أعرف كيف ظهر هكذا فجأة وكأن الأرض انشـقت عنـه لم أتمالك أعصابي وأنا أراه معها وكدت أذهب إليه لألقنه درسـا أمامها لكني أعرف جيدًا أن ذلك سيزيد الأمر سوء بيني وبينها، ولكنني استعنت بخمسـة من أفضل لاعبي الكاراتيه والجودو والكونغ فو ممن أعـرف مقدار شراسـتهم وعنفهـم كي يلقنوه درسًـا ويبعدوه عن طريقها، إلا أن العكس هو ماحدث، لقد رأيته بعيني وهو يطيح بهم كالإعصار، وكان يقاتل بيده العارية بشـكل مذهل ممـا جعله يفقد ثلاثة منهـم وعيهم ويحطم أنـف الرابع ويخلع كتـف الخامس، وكل ذلك في ثواني معدودة وبلا توقف كدت أن..... ثـم بـتر عبارته فجأة وأخذ يحـدق بشيء ما بيد صلاح قبل أن ينتزعه منه وسـط دهشـة الأخير الـذي صاح قائلًا: ما الأمـر يا علاء ماذا بك؟ وكان علاء يحدق بدهشـة فيما أنتزعه لتـوه مـن يد صديقـه كانت عبارة عـن صورة ولكنها ليسـت صورة عادية أنها صورة من الممكن أن تغير مسـار التاريخ لقد كانت صورة لغريمه لقد كانت صورة لشهاب؟

بإحدى قاعات الاستقبال بمنزل الدكتور صادق عز الدين جلس شهاب وسلوى في صمت لبرهة قبل أن تأتي مديرة المنزل متحدثة بصوت يخلو من الود موجهة حديثها لهما: معذرة يا سادة البروفسير لا يدلي بتصريحات صحفية منذ عام.

سلوى: ولكن الأمر هام بل في منتهى الخطورة.

مديرة المنزل وقد بدت على وجهها ابتسامة آلية قبل أن تردف قائلة: نعم أعلم ذلك فالأمر دائما يكون هام وخطير ودائما تكون الإجابة واحدة البروفسير يعتذر.

كان شهاب صامت طول الوقت وسلوى تحاول مع هذه السيدة العنيدة دون جدوى ثم قطع حديثهما بغتة قائل بهدوء وثقة:أرجو يا سيدتى أن تبلغي دكتور صادق أن الأمر يتعلق بمشروع التنقل عبر الزمن.

مديرة المنزل: أرجوكم ياسادة لا فائدة من كل.....

وهنا قاطعها شهاب بحدة مخاطبًا إياها بلهجة صارمة: هل تتحملين نتائج عدم تبليغ تلك الرسالة؟ وهنا ارتبكت السيدة بعض الشيء ولم تجد أمام الثقة والهدوء اللتان يتحدث بهما

شهاب سوى الرضوخ والاستسلام وذهبت لتبلغ الرسالة في حين نظرت سلوى لشهاب بدهشة وهمت بالتحدث لولا عودة السيدة قائلة: البروفسير وافق على مقابلة السيد ولكن بمفرده أتبعني من فضلك نظرت سلوى إليه قائلة: ماذا ترى؟ شهاب: سأقابله بالطبع، شعرت سلوى ببعض القلق وهو يمشي مع السيدة المتعنتة إلى حيث يوجد دكتور صادق ولكنها حاولت أن تقنع نفسها بأنه لا يوجد ما يستدعي القلق وأن عالم كالدكتور صادق لا يمثلس أي خطر وما إن دخل شهاب المكتب حتى أغلقت السيدة الباب خلفه وكانت حجرة المكتب من الداخل عبارة عن مكتبة ضخمة يتوسطها مكتب وكان الرجل يبحث عن أحد الكتب في إحدى الجوانب قبل أن يردف قائلًا بعد أن استدار ونظر إلي شهاب: أذن أنت الرجل الغامض الذي يبحث عنه الجميع، بدا شهاب رابط الجأش هادئ الأعصاب، بالرغم مما فاجأه به دكتور صادق من معرفته بأمره، وقال بهدوء: نعم يادكتور صادق ولكن هل لي أسال كيف علمت بأمري؟

أشار دكتور صادق لشيء ما يحمله بيده قائلًا: هذا الجهاز رصد حالة نشاط أيوني بمعدلات مرتفعة فور دخولك إلى هنا ثم نظر للجهاز بيده الذي لايتجاوز حجمه وكأنه يستعيد ذكرياته قائلًا: لقد قمت باختراع هذا الجهاز منذ أكثر من ٤٠ عام حيث كان عبارة عن مشروع تخرجي من كلية الفيزياء الضوئية ثم أشار لشهاب بالجلوس وأخذ ينظر إليه بنظرات علمية متفحصة ثم قال: ما هي قصتك يا فتى؟

شهاب: أجبني أنت أولا يا دكتور لماذا تخليت عن مشروعك؟

دكتور صادق: لأن سرعة الضوء غير متاحة على الأرض على الأقل حتى الآن.

شهاب: وإن توفرت؟ بدت ملامح الرضا والسرور على وجه الدكتور صادق وكأنه يتوقع ما سيقوله شهاب ثم أردف قائلًا: إذا توفرت سيتمكن الإنسان من التنقل عبر الزمن.

شهاب: ولماذا يفعل ذلك؟

دكتور صادق وقد علت وجهه ابتسامة ماكرة وهو يقول: لنفس السبب الذي أتى بك من حيث لا أدري، وهنا

ابتسم شهاب هو الآخر وبدت الطمأنينة تعرف طريقها أخيرًا إلى وجهه وهو يقول: وهل أتوقع مساندة ودعم؟

دكتور: هل عرف أحد بأمرك؟ وتلك الفتاة التي أتيت معها هلـ..... قاطعه شهاب: ليست تلك القضية يا دكتور أن الوقت ليس في صالحي ولقد بدأ ينفذ فلم يتبق لي إلا يومين قبل أن يتحول جسدي إلى طاقة وأتلاشى، بالطبع تفهم ما أقصد، أومأ دكتور صادق برأسه إيجابًا وهو يقول: نعم يا بني أعلم ذلك، ولكن ما هو تصورك لنوع المساعدة التي أستطيع أن أقدمها لك؟

شهاب: لا أعرف بالضبط ولكنني متأكد أن بعض تقنيات عصركم لو رجعت للماضي تستطيع أن تحقق المعجزات وبالتأكيد هذا ما كنت تفكر فيه أثناء عملك بمشروعك الذي لم يكتمل.

دكتور صادق: حسنًا يا ولدي ولكن يجب أن أعرف أولًا الكيفية التي تتنقل بها عبر الزمن حتى أحدد كيفية المساعدة.

شهاب: طمأني أنت أولًا يا دكتور صادق ماذا حدث لقوات التحالف الأمريكي الغربي التي تحركت سنة ٢٠٠٣م

لغزو العراق؟ ولم يكد يسمع الرجل هذا السؤال حتى تهللت أسـارير وهو يقـول بانفعال: أبشر يا فتى فـإن كان هذا هو ما جئـت مـن أجله فلقـد نجحـت في مهمتـك و.....قاطعه شهاب بانفعال: كيف يا دكتور أنني هربت من بغداد وكانت تقصف بوحشية وكان هناك عشرات الآلاف من القتلى وكانت الجثث والأشلاء تغطي أرصفة الشوارع والدمار والخراب في كل مكان ولم.....قاطعه دكتور صادق قائلًا: أهدأ يا بني هـذا ليس كلامي فالتاريخ هو الـذي يقول أن آخر الحملات الصليبية على الشرق الإسـلامي والتي قادتها أمريكا وأوروبا في مطلـع القـرن الواحد والعشرين قد باءت بالفشـل الذريع فحين هاجمـت ٥٧٠ طائـرة حربية الأجـواء العراقية أخذت تنفجر وتختفي الواحدة تلو الأخر بصورة غامضة كما أن حاملا ت الطائرات الأمريكية والبريطانية والقطع البحرية الأخرى حدث لها نفس الـشيء بذلت أمريكا وحلفاءها وقتها جهودًا خرافية لمحاولة معرفة ما حدث، وحين فشـلوا في ذلك بذلوا مجهودات مماثلة لإخفاء ما حدث عن أعين شعوبهم وعن أعين العالم بسيل من الأكاذيب المقنعة الشديدة الإتقان، والتي طالما برعـوا في صناعتها ولكنهم لم يسـتطيعوا أن يخفوا ذلك للأبد

وإلا مـا كنا عرفنـا بذلك في عصرنا هذا، فلقد اكتشـف العالم بعد ذلك بفترة غير قصيرة ما حدث لتلك الحملة من اندحار و..... قاطعه شـهاب الذي لم يطيق صبرًا بسبب ما اجتاح كيانه من فرحة ونشـوى: حمدًا لله إن هذا يعني أنني أستطعت أن أرجـع بأحدي منجزاتكم العسـكرية للـماضي وأوقف بها هؤلاء المجرمين وأعتقد أنها أحدى مقاتلات السـلاح الجوي العربي ولكن هل تسـتطيع مقاتلة واحدة مهما بلغ تطورها أن تفعل كل هـذا و.....قاطعه دكتور صـادق بحماس: بالطبع يا بني أن أحدى مقاتلات السـلاح الجوي العربي تستطيع أن تغزو العالم بأسره.

شـهاب: ولكن يا دكتور ماذا حين تنفذ ذخائرها؟ ابتسـم دكتـور صـادق وهـو يقول بثقـة العالم الـذي مـلأه الفخر بما حققتـه بلاده: إن مقاتلاتنا العربية يا ولدي تسـتخدم دفقات الليـزر في تدمـير أهدافها فيكفي القـول أن بندقية الليزر التي يتسـلح بها جنودنا في هذا العصر تسـتطيع دفقاتها وإن شـئت قل «طلقاتها» حتى يتناسب ذلك مع عصركم أن تثقب جدارًا من الصلب سـمكه ١٠٠ سـم ولـك أن تتخيل ماذا تسـتطيع

أن تفعله المقاتلة بقدراتها التسليحية التي تفوق البندقية مئة ضعف ولنـ.....قاطعه شهاب بانفعال: رائع جدًّا ولكن كيـ.....مهلًا يا بني فلم أفرغ بعد ثم أردف قائلًا: ومقاتلاتنا الحربية وكل معداتنا العسكرية بها إمكانية إعادة شحن ذاتي فالطائرات مثلًا ما دامت تتحرك وتناور فأنها بذلك تلقى مقاومة من الوسط المحيط بها وهو الهواء ويتم استغلال تلك المقاومة لتوليد قوة دفع ذاتية تستغلها في إعادة توليد شعاع الليزر داخل مولدات بجسم الطائرة وهذا بتبسيط شديد دون الخوض في تفاصيل لأنها بالغة التعقيد وتعد أيضًا من الأسرار الحربية.

تنهد شهاب واسترخي على كرسيه وأردف قائلًا: ياللروعة ثم لم يلبث أن أردف قائلًا ببعض القلق: وهل أستطيع أن أقود مثل هذه المقاتلة وأنفذ بها عمليات عسكرية؟

د/ صادق: أن هذا أبسط ما في الموضوع يا بني بل قل كيف ستعود بها للماضي؟

شهاب: سأعود كما أتيت هل نسيت يا دكتور؟

د/ صـادق: نعـم نعم يا بنـي عذرًا فلقـد أمضيت عمري كله في هذا المشروع وخرجت منه بقناعة أن أحدا لن يستطيع التنقل عبر الزمن ألا بعد عدة قرون من التقدم العلمي وهذا ما يجعل الفضول يتلاعب برأسي العجوز ويدفعني لأن أسألك كيـف اسـتطعت أن تتوصل لسرعة الضـوء في عصرك الذي يبـدو مقارنـة بعصرنا هذا شـديد التخلف؟ نظر إليه شـهاب قبـل أن يـردف بود قائـلًا: أننـي لا أنتمي لعصر مـا يا دكتور صـادق فأنـا رجل بلا زمـان بلا مكان صمـت دكتور صادق لبرهة قبل أن يردف قائلًا: أين كنت يا بني فأنك بصدد القيام بعمل في منتهي النبل والشجاعة وسأساعدك بكل ما أستطيع نظر إليه شـهاب بامتنـان وتقدير بالغ وهـم بالتحدث ألا أنه ظهـرت على وجهه فجأة معالم القلق والتوتر على نحو أدهش دكتور صادق ما دفعه للتساؤل قائلًا: ما الأمر يا بني؟

شـهاب: مـاذا لـو وقعت تلـك المقاتلـة في أيـدي هؤلاء المجرمـين وقامـوا بفحصهـا و....قاطعه دكتـور صادق وقد ارتسـمت على وجهـه ابتسـامة واثقة وهـو يقـول: اطمأن يا ولدي، لو افترضنا جدلًا وهذا شـبه مستحيل أنهم استطاعوا

أن يحصلوا عليها ففور فحصهم لها ستدمر ذاتيًا؛ لأنه يجب إدخال شفرة معينة تتغير باستمرار ولا يعرفها إلا مهندسي قواتنا الجوية، ولو أنهم استطاعوا أن يتفحصوها وذلك هو المستحيل بعينه، فلن يفيدهم ذلك من قريب أو من بعيد فالفرق بيننا وبينهم بعيد جدًّا يا ولدي وهنا بدت ملامح الارتياح والانبساط على وجه شهاب وهو يقول عظيم جدًّا إذن فالنسرع بأخبار المسئولين حتى يوفروا لنا أحدى هذه المقاتلات يجب أنـ.....قاطعه دكتور صادق قائلًا: للأسف لن يصدقني أحد وسيتهموني بالجنون لو أخبرتهم بأمرك فلقد تعرضت لانتقاد كبير عندما أعلنت عن مشروع «التنقل عبر الزمن» وأننا نستطيع به أن نمحوا آلام البشرية ونصحح أخطاء التاريخ فبالرغم من التقدم المذهل الذي حققناه ألا أن مسألة الماضي والمستقبل مازلت بعيدة عن أذهان الكثير.

شهاب وقد بدا عليه الجزع وهو يقول: وما العمل إذن يا دكتور؟

د/ صادق: لا تقلق يا بني فالمسألة منتهية بحكم التاريخ وسنجد حتما طريقة ما وبسرعة أعدك بذلك ولكن حتى

يحـدث ذلـك يجـب أن تبقى معي فهنـا المـكان الوحيد الآمن الـذي لن يفكر فيه رجـال الأمن القومي، ولم يكد ينطق بآخر كلماتـه حتى اندفعت سـلوى وخلفها مديـرة المنزل وبدا على سـلوى الخـوف والهلـع وهي تـصرخ بانفعـال شـديد قائلة: اهرب يا شـهاب، وهنا صاح صادق مخاطبًـا مديرة منزله: ما الأمر يا منيرة؟

منـيرة وقد بـدا عليهـا الذعر هـي الأخـرى وهي تجيب قائلة: لا أدري ما الأمر يا دكتور، ولكن رجال الأمن القومي يحـاصرون المنزل وقد بـدأوا في اقتحامـه و..... واعترضتها صرخات سـلوى الملتاعة: اهرب يا شـهاب أرجوك اهرب، وهنا جاء من خلفها صوت حاد يقول بسخرية: يهرب إلى أين يا سيدتي؟ والتفت الجميع ليجدوا الرائد صلاح وسط حشد من رجاله وقد أشـهروا مسدساتهم وبنادقهم الليزرية، مرت تلك اللحظات على شـهاب وكأنها جبال من الجليد جسمت فوق صدره وأخذ شـبح الفشـل يطـارده، وأخذت عشرات الأسـئلة تعتصر مخه بلاهوادة، كيف سأتصرف؟ وهل تكون تلـك النهايـة؟ ولكـن التاريخ قـال كلمته ونجـت بغداد من

المجرمين هل وهل وهل ولم يخرجه من تلك المعاناة سوى دكتور صادق الذي انفجر في وجه صلاح في وجهه قائلًا بمنتهى الحدة: ما هذه الوقاحة يا هذا كيف تجرؤ على اقتحام منزلي بهذا الشكل هل..... قاطعه صلاح بهدوء يتسم بالتحدي قائلًا: مع احترامي الشديد لك ولمكانتك العلمية يا سيدي، ولكن هل لي أن أسأل ماذا يفعل هذا الرجل عندك وكل أجهزة الدولة الأمنية تبحث عنه ولـ..... قاطعه الدكتور صادق: إنه ليس متهم بأي شيء كما أنـ..... قاطعه صلاح مرة أخرى بعد أن ضاعف من جرعة التحدي وهو يقول: سنرى يا دكتور بعد أن نقوم بعملنا، ثم أشار بيده لأحد رجاله وعلى الفور تحرك الرجل وقيد شهاب بخشونة وأقتاده للخارج وسلوى تشاهد ما يحدث وقد انهمرت الدموع من عينها وهي تنظر إليه بلوعة وباتت متأكدة الآن من إجابة السؤال الذي طالما سألته لنفسها منذ أن ألتقت به «نعم أنه الحب» وكانت تصرخ من أعماقها بذلك ولولا حياء الأنثى بداخلها لصرخت بأعلى صوت لها قائله: أتركوه أنه لم يفعل شيئًا..... أتركوه أني أحبه ولكنها لم تستطع أن تصمت للأبد فانطلقت تصرخ باسمه بلوعه حين اقتاده صلاح ورجاله

للخارج في حين أخذ دكتور صادق يقول: لا تقلق يا شـهاب سأنهي هذه المهزلة في أسرع وقت لم تتمالك سلوى نفسها أكثر ذلـك وألقت بنفسـها فوق أحد الكراسي وأخـذت في البكاء بحرارة وهنا أشـفق عليها الدكتور صـادق وربت على كتفها بحنان الأب وهو يقول: أهدئي يا ابنتى سأنقذه أنه جدير بأن نقـف كلنا معه وهنا تمالكت سـلوى نفسـها ورفعت وجهها ونظرت إليه وقد امتلأت عينيها بالدموع وهي تقول بأسـى: من هو يادكتور؟ من يكون؟ صمت دكتور صادق لبرهة قبل أن ينطق بمزيج من الأسـى والشـجن أنه الماضي يا بنيتي جاء يطلب منا النجدة.

شيء غريـب فعلًا نطق مدير جهاز الأمن القومي العربي بهذه الجملة حين علم من التقرير الذي قدمه الرائد صلاح أن شهاب أو رجل الصحراء كما يطلقون عليه قد تم العثور عليه بمنزل العالم الكبـير دكتور صادق عز الدين ثم أضاف قائلًا: ولكن ما علاقة دكتور صادق بهذا الرجل الغامض؟

صلاح: أغلب الظن يا سيدي أنه كان يجري عليه بعض التجارب سرًّا ضمن مشروعه «التنقل عبر الزمن» هذا الذي زعم أنه توقف عنه وعند اكتشاف أمر هذا الرجل قام باختطافه من المستشفى بمعاونة صحفية شابة بجريد ة الحرية.

مدير الجهاز: اختطافه! قالها الرجل باستنكار بالغ قبل أن يردف قائلًا اسمع يا صلاح أن الوضع لا يروق لي بهذا الشكل لا تتعجل الحكم على الأمور وقم بتشكيل فريق للتحقيقات ولتعلم جيدًا أنني لن أسمح بأي أخطاء لأن الوضع ساعتها سيكون بالغ السوء لو أحرجنا أحد رموزنا العلمية الدكتور صادق كما أن جريدة الحرية التي ذكرت أن تلك الصحفية تعمل بها هي من أشهر الجرائد وأكثرها احتراما ومكانة في جميع أنحاء الولايات ثم أزداد حدة وصرامة وهو يقول باختصار غير مسموح بأي أخطاء.

صلاح: لا تقلق يا سيدي لن تحدث أية أخطاء أعدك بذلك ثم أدى لتحية العسكرية وانصرف متوجها إلى مكتبه حيث كان بانتظاره وعلى أحر من الجمر علاء وقد بدت على وجه علامات الحنق والغضب وما أن رآه حتى هب واقفا

وأمسـك بذراعه وصرخ فيه قائلًا: فلتبقي سلوى خارج هذه القضية تمامًا يا صلاح فلو أصابها مكروه أقسم أنني.....

نهـره صـلاح بحده قائـلًا: أجلس وأهـدأ يا عـلاء أن الرجل نفسه ليس مدان بشيء حتى الآن وسوف أشرف على التحقيق بنفسي ثم اكتسى صوته بمزيج من الصرامة والحدة وهو يقول ولتعلـم جيدًا أنني سـأقوم بعملي على الوجـه الأكمل ولو أن أبي نفسـه متـورط في شيء فلن أتسـتر عليه وأنـت تعلم ذلك عني جيدًا.

علاء: ولكنني أنا الذي أرشدك عن هذا الرجل ولولاى مـا خطر على بالك مطلقا أنه ببيـت الدكتور صادق عز الدين وانـ.....أشـار إليـه صـلاح بغتـة بالتوقف وقـد أنعقد حاجبيـه واتسـعت عينـاه على نحـو مخيف وهو يقـول بهدوء يملؤه الشراسـة: كيـف عرفت أننا وجدنـاه في منزل الدكتور صـادق؟ وهنا أراد علاء أن يتحـدث ولكن صلاح بادره بأن أسـتل مسدسـه الليـزري وألصقه بـرأس وهو يقـول بهدوء مخيـف لـولا رصيد الصداقة التـي بيننا لأطلقـت عليك النار ثم أزداد صوته شراسـة وحدة وهو يقول: هل تتجسـس علي

جهاز الأمن القومي العربي أيها الأحمق؟ ألجمت المفاجأة علاء الذي بدا الذعر واضحا على وجهه لعدة ثواني قبل أن يتمالك نفسه ويظهر بعض الغضب وهو يبعد بحدة مسدس علاء الملتصق تمامًا برأسه ويقول بغضب الدنيا كلها: وهو كذلك يا صلاح تأكد أني لن أنسى لك هذا الموقف ما حييت أما عن تلك الصداقة التي تتحدث عنها فلتنسا أمرها للأبد ثم غادر المكتب والغضب يجتاح كيانه وأعاد صلاح مسدسه الليزري كما كان وهو يغمغم بحنق قائلًا: هذا الأحمق سيودي بنفسه من أجل فتاة!.

وفي تلك الأثناء كان شهاب يجلس بإحدى غرف الاحتجاز بمبنى جهاز الأمن القومي العربي وقد بدأت الهواجس والسيناريوهات السيئة تتلاعب برأسه ..... ماذا لو لم يستطع دكتور صادق أن يتدخل في الوقت المناسب؟ ماذا لو انتبهوا لساعة يده وفقدها للأبد؟ لم يبقى الكثير من الوقت قبل أن يتحول جسده لطاقة ويتلاشى هل يتخلى عما جاء من أجله أم يغامر بحياته لإنقاذ الأبرياء من إجرام حثالة

البشر وكادت رأسـه تنفجر من كثرة التفكير ولم ينقذه سـوى دخـول جنديين اصطحباه إلى إحـدى غرف التحقيق، وما أن دخلهـا حتى وجد صلاح يجلس بين سـتة أشـخاص آخرين مكونـين فريقًـا للتحقيـق، أجلس الجنديان شـهاب على أحد المقاعد الخاصة وما أن جلس عليه حتى التفت بصورة مباغتة حـول معصميه وقدميه حزم ليزرية زرقاء شـلت حركته تمامًا وقيدتـه بدا التوتر والقلق على وجه شـهاب من تلك المفاجأة غير أنه شعر ببعض الراحة لإخفاؤه ساعة يده، أو بمعنى أدق جهاز التفتيت الأيوني حيث تركها في الغرفة التي كان محتجزًا بها داخـل تجويف أحد المقاعد، أخذ صـلاح وفريقه يحدقون به بشـدة قبل أن يوجـه صلاح حديثه له قائـلًا بصرامة: تلك الحـزم الليزرية الزرقاء حول معصميك وسـاقيك سـتتحول لحـزم برتقالية اللون إذا رصـدت أجهزتنا أي محاولة للكذب وسـتصاب عـلى إثرهـا بـآلام مبرحـة في كل مرة تحـاول فيها الكـذب أي أنه لامجـال للخداع ثـم ضحك قائلًا بسـخرية: تمنياتي بوقت سـعيد ثم بدأ في إلقاء الأسـئلة: من أنت؟ وبماذا تبرر تواجدك الغامض في الصحراء؟

كان شهاب قد أعد قصة متقنة وحفظها عن ظهر قلب وهو بغرفة الاحتجاز كمحاولة لكسب بعض الوقت ولكن ماذا عساه أن يفعل مع تلك الحزم الليزرية التي ستكشف أمرة ومن أول حرف ينطق به هل يروي الحقيقة كاملة؟ لن يصدقوه ستصدقه الحزم والأجهزة والتقنيات لكنهم.... سكان المستقبل لن يصدقوه سيشكون في أجهزتهم وتقنياتهم ألم يقل دكتور صادق أن مسألة التنقل عبر الزمن لازالت بعيدة عن الأذهان بالرغم من التقدم المذهل الذي تم تحقيقه ثم أنه في صراع مع الوقت لم يبقي منه الكثير وفجأة قفزت إلى رأسه وقلبه ووجدانه صورة فاطمة تلك التي ذبحها المجرمون أنها الأمل فهي من جاء من أجلها وهي من سيناضل الآن أيضًا من أجلها، وعلى الفور جعل شهاب كل تركيزه وتفكيره في فاطمة وبرباطة جأش وبصورة فاطمة التي ملأت قلبه ووجدانه أجاب قائلًا: أسمي شهاب محمود وأعمل مصورا صحفيا بجريدة الحرية أما عن وجودي الغامض بالصحراء كما ذكرت فالأمر شديد البساطة ولم يكن يستدعي كل هذه الضجة لقد كنت أقود سيارتي رقم م ف ٧٦ عائدًا من دمنهور بعد زيارة عائلية سريعة وفجأة شعرت

بآلام شـنيعة تمزق معـدتي فقررت التوقف ومغادرة السـيارة لأداء بعض تمارين اليوجا واستنشاق هواء الصحراء النقي في محاولة منى لتخفيف هذا الألم وبالفعل اسـتلقيت على ظهري وبدأت في عمل تلك التمارين وفجأة رأيت فوقي على مسـافة ليسـت بعيدة وكأن خطًّا مسـتقيمًا من الضـوء المتوهج ينطلق وقد ومض فجأة وكأنه البرق ولم أشـعر بعدها بنفسي إلا وأنا بالمستشفى.

وكانـت المفاجـأة...لم يحدث شيء لم يتغـير لون الحزم أن الأجهزة تصدقه سينجح بالتأكيد سينجح.

بـدا صـلاح وفريقـه بعـد أن أجـاب شـهاب ولم تلتقط الأجهـزة أي دليل على أنه يكذب أو يخادع بدوا أقل تشـككا من ذي قبل ولكنهم على أية حال لم يحسموا أمرهم بعد وعاود صلاح طرح الأسـئلة قائلًا: إذن لماذا هربت من المستشفى إن كان الأمر كما تقول؟ تصنع شهاب الدهشة وهو يقول: أهرب ولمـاذا؟ لقـد طمأنني الدكتـور المعا لج على حالتـي وان تلك الآلام التـي هاجمتني مجـرد تقلص في عضـلات البطن نتيجة الإجهـاد وحـين اطمأننـت على صحتـي غادرت المستشـفى

ولم يعترض طريقي أحد ولو أنني أعلم أني مطلوب لديكم لجأت إلى هنا طواعية ثم أنني بعد أن غادرت المستشفى قمت بالإبلاغ عن فقد سيارتي وعن هذا الضوء الساطع الذي رأيته في السماء كان شهاب كان شهاب يعلم جيدًا أنه من السهل على صلاح أن يتأكد من صحة كلامه وأن يكتشفوا أنه يكذب في كل ما قال إذا قام ببعض التحريات البدائية كالسؤال في المستشفى مثلًا عما رواه شهاب ولكنه واصل إلقاء قصته ردًّا على كل سؤال وكان غايته في ذلك ألا يشددوا عليه إجراءات الحراسه بحيث يوضع بمكان ما يستحيل معه الهرب لو أزداد الموقف تعقيدا ولم يجد أمامه سوى الهرب سبيلا أو ربما يقتنعوا إلى حدا ما بقصته فيتركوه ثم يقوموا بمراقبته أو أي شيء من هذا القبيل.

صلاح: وبما تفسر إذن تواجدك بمنزل الدكتور صادق عز الدين؟

شهاب: كما قلت لك أنني مصور صحفي وهذا الضوء المتوهج الذي رأيته فجأة في الصحراء وما أعقبه ذلك من فقدان لوعيي جعلني أتذكر تلك القصص التي سادت في

القرن العشرين عن وجود كائنات فضائية تهبط من الفضاء الخارجي بأطباقها الطائرة وتقوم باختطاف البشر كي تجري عليهم بعض التجارب فشككت لربما حدث ذلك معي هذا اليوم وإلا لماذا فقدت وعيي فور رؤيتي لهذا الضوء الغامض؟ فذهبت للدكتور صادق باعتباره أشهر علماء الأرض في هذا المجال واستفسرت منه عما حدث لي في الصحراء ثم انتهزت الفرصة وقمت بعمل حديث صحفي معه أنا وزميلة لي بالجريدة عن ذات الموضوع وكانت الأمور تسير على ما يرام وقد قبل الدكتور صادق أخيرًا وبعد انقطاع عامين عن الصحافة أن يدلي بحديث صحفي للجريدة لولا هجومكم على المنزل واصطحابي إلى هنا. وظل شهاب على هذه الوتيرة وصلاح يسأل ومن معه يحللون إجابات شهاب واستمر التحقيق لمدة ثلاث ساعات متصلة وفي نهاية التحقيق أحس شهاب بأن فريق التحقيق وعلى رأسهم صلاح قد بدأوا يميلون لقصته خصوصًا مع عدم التقاط أجهزتهم لكشف الكذب هذه لآي محاولة للخداع أو المرواغة وإن كانت الريبة والشك لازالت موجودة بداخل صلاح ظاهرة على وجهه ولاحظ شهاب ذلك جيدًا غير أنه شعر ببعض الراحة

والطمأنينة حين أردف صلاح قائلًا بهدوء: حسنا يا أستاذ شهاب سنجري بعض الاختبارات بمعاملنا على حامضك النووي ولو خرجت نتيجة هذا التحليل مرضية سنكون وقتها مدينين لك بالاعتذار. شهاب وقد حاول أن يظهر بعض الغضب وهو يقول: وحتى يحدث ذلك هل سأظل هكذا رهن الاعتقال؟

صلاح: لم تسميه هكذا يا أستاذ شهاب لماذا لا تقل أنك مثلًا في ضيافتنا لعدة ساعات، وإن شئت أن تنتظرهم في مكتبي فليس عندي أي مانع؟ حاول شهاب أن يكون فظا ليعطي للجميع رسالة نفسية أنه لا يخاف من شيء، وبالتالي فهو برئ من تلك الشكوك التي تدور حوله، فقال بشكل فج لصلاح: كلا أفضل قضاء تلك الساعات اللعينة بمفردي كي لا أتهور وأفقد أعصابي وأحطم أسنان أحد ما قال ذلك وهو ينظر لصلاح بمنتهى التحدي في مشهد رآه الجميع وقد خرجوا بعده بانطباع شبه يقيني أن مثل هذا الرجل الذي لم تهتز له شعرة ولمدة ثلاث ساعات متواصلة أمام حصار وضغط فريق من جهاز الأمن القومي يترأسه الرجل المطرقة

لا بد أن يكون برئ. نظر إليه صلاح بحنق وهو يقول: حسنًا يا أستاذ شهاب كما تحب، ثم ضغط على أحد الأزرار وعلى الفور دخل أحد الجنود للغرفة بعد أن أدى التحية العسكرية بقوة فأشار إليه باصطحاب شهاب قائلًا: نفذ له كل ما يطلبه في حدود صلاحياتك، ثم أخذه الجندي وغادر به الغرفة إلى حيث عرفة الاحتجاز، ثم سأله: هل تريد شيء؟

شهاب: جريدة اليوم وبعض الطعام والماء.

الجندي: حالًا سيكون ما طلبت لديك.

وعلى الفور أخرج شهاب من تجويف أحد المقاعد جهازه للتنقل عبر الزمن ووضعه حول معصمه، كان يعلم جيدًا أنه عليه التحرك سريعًا، وألا ينتظر نجدة الدكتور صادق؛ لأن فريق التحقيق هذا الذي اعتصره لمدة ثلاثة ساعات متصلة سيعلم حتمًا بأن كل ما قال ليس حقيقي، وساعتها ستتعقد الأمور وتزداد سوءًا، فضلًا عن ذلك أن الوقت ليس في صالحه على الإطلاق، فلم يبقى أمامه في هذا العصر سوى ٤٨ ساعة قبل أن يتلاشى جسده، وهنا قطع الحارس عليه حبل أفكاره بعد أن أحضر له ما طلبه، التقط شهاب الجريدة وأخذ يتصفحها ووقعت عينيه على خبر يقول «المقاتلة صقر قريش

١٧ تشترك في العرض العسكري اليوم المقام بالقاهرة احتفالًا بعيد الوحدة»، وهنا لمعت عيناه بعد أن قفزت لرأسه فكرة ما، فكرة شديدة الجرأة ولكنها أمله الوحيد، وعلى الفور قرر البدأ في تنفيذها، وفجأة استلقى على الأرض وأمسك ببطنه وأخذ يصرخ ويصيح، وعلى الفور دخل الحارسان الغرفة ليتبينوا ما الأمر، وحين رأوا الوضع هكذا اندفعوا نحو شهاب وأخذوا يتفحصونه وفجأة وبسرعة البرق هوى شهاب بقبضته اليمنى على مؤخرة رأس أحدهم فخر فاقد الوعي، في نفس الوقت كانت راحت يده اليسرى قد أطاحت بعنق الآخر ليسقط هو الآخر فاقد الوعي بجانب زميله، وعلى الفور نزع شهاب ملابس أقربهم له جسدًا وارتداها ثم قيدهما وكمم أفواههما وأخذ مسدس أحدهما الليزري وانطلق نحو الأمل..... الأمل الوحيد.

ماذا! هل تمزحين؟

نطقت الدكتورة هالة بهذه العبارة وهي تنظر في استغراب ودهشة لسلوى قبل أن تردف قائلة: «رجل من

الماضي» وهنا بكت سلوى بحرارة وأشفقت عليها هالة وهي تقـول بانفعال: ماذا بك يا سـلوى؟ ما الأمر؟ هـل..... قاطعتها سـلوى والدموع تنهمر من عينيها: أنني أحبه يا هالة أحبه، لم أشـعر بهذا الإحسـاس من قبل إلا معه، اقتربت منها هالـة وضمتهـا إليها بحنان بالـغ قبل أن تقـول: هوني عليكِ يـا حبيبتـي واحكي لي ما الأمـر، قصت عليها سـلوى كل ما كان منها مع شـهاب منذ أن رأته لأول مرة بالمستشفى وحتى أتى صلاح ورجاله وأخذوه من منزل الدكتور صادق، بدت هالـة لا تصدق ما تسـمعه وخصوصًا ما قالـه دكتور صادق عن شهاب، ثم قالت لسلوى: لنفكر بهدوء يا حبيبتي، لو أن هـذا الرجل كما يقول الدكتور صـادق فتعلقك به جنون أنك صغـيرة وجميلة وعـشرات الرجال يتمنـون الارتباط بكِ، إن المسـتقبل كله أمامك فـلا تعيشي في الأوهـام ولا تجري وراء سراب لـن يتحقق أبدًا، فلا تعذبي نفسـك يـا حبيبتي ولتنسِ هذا الرجل تمامًا.

سـلوى: كيـف يا هالة سـيموت لـو لم نسـاعده ونحرره في أقـل من ٤٨ سـاعة، أعلم أن الأمر صعـب التصديق لكن

قلبي يؤكد لي أنه كما قال دكتور صادق «رجل من الماضي»، ثم انخرطت في البكاء مجددًا، وهنا دخل علاء عليهما المكتب وهمت سلوى بالتحدث، إلا أنه استوقفها قائلًا: أرجوك يا سلوى فلتسمعيني هذه المرة فربما تكون المرة الأخيرة، ثم واصل حديثه قائلًا: إنني لا أستطيع أن أراك هكذا، فالحب تضحية وعطاء، وإن لم أستطع أن أفوز بقلبك دعيني أدفع عنكِ ما أنتِ فيه من حزن وهم، فهذا يمثل الكثير بالنسبة لي، فحين أراك سعيدة حتى ولو مع غيري أهون بكثير من أن أراكِ في تلك الحالة، ولو كان شهاب هو ما اختاره قلبك فإني أبارك هذا الاختيار وسأعمل بكل ما أستطيع على مساعدته وإخراجه من مأزقه ولو..... قاطعته سلوى وهي تبكي بحرارة قائلة: إنك لا تعرف شيء، ثم انتفضت من على مقعدها وغادرت مكتبها وعلاء ورائها يحاول إيقافها قائلًا: سلوى سلوى إلى أين أنتِ ذاهبة أنـ..... قاطعته هالة: دعها الآن يا علاء ولتجلس فأني أريد التحدث معك جلس علاء وقلبه يعتصر ألما من تلك الحالة التي رأى فيها الإنسانة الوحيدة التي أحبها وقال لهالة: أقسم أنني مستعد أن أفعل أي شيء حتى أخفف عنها ما هي فيه.

هالة: أشـكرك يا علاء على مشـاعرك النبيلة تجاه سلوى ولكنها الآن تمر بأزمة عنيفة وتحتاج مسـاعدة كل من يحبها ثم روت عليه قل ما سـمعته من سـلوى نظر إليها علاء والحزن يعتـصر قلبه وقد بـدا واضحا على قسـمات وجهـه وفي عينيه التـي أغرورقـت بالدمـوع وهو يقـول: عجبا للأقـدار قلبها يتعلـق برجل لا وجود له ومن يعشـقها حتـى الجنون فأنها لا تشـعر بوجـوده ثم صمت لبرهـة قبل أن يقول عـلى أية حال لوأن مسـاعدتي له ستسعدها فلن أتردد في فعل ذلك حتى لو كلفني ذلك حياتي ثم هم بالانصراف فاسـتوقفته هالة قائلة: أنـك إنسـان نبيل يـا علاء ولقد بدأت أشـعر أنـك أصبحت جديـر بسـلوى. نظر إليهـا والحزن والأسـى يملـلآن وجهه وقـال بصوت تعتصره المرارة: وما الفائـدة ما دام قلبها معلق بغيري؟ ثم انصرف مسرعًا.

٦- الولايات المتحدة الإسلامية..

بقصر الخلافة المسمى «قصر الوحدة» القابع في أحد الأحياء الراقية بمدينة القاهرة جلس الدكتور صادق عز الدين في انتظار مقابلة الخليفة....خليفة المسلمين شخصيًّا طلبًا في مساعدته وتدخله الشخصي لمساعدة شهاب، وما أن رأى الخليفة العالم الكبير الدكتور صادق عز الدين حتى أقبل عليه وصافحه بحرارة ورحب به بحفاوة شديدة تقديرًا منه للعلم والعلماء، حيث كان الخليفة نفسه أحد علماء الفيزياء البارزين قبل أن يتجه للعمل السياسي، وقد جاء لتوه من جامعة القاهرة بعد أن ألقى محاضرته الأسبوعية أمام طلاب الفرقة النهائية بكلية العلوم.

الخليفة: مرحبًا بك يا دكتور صادق لكم أتشوق لرؤيتك ولكنك تبخل علينا ببضع دقائق من وقتك الثمين.

ارتسمت ابتسامة مشوبة بالقلق والتوتر على وجه الدكتور صادق وهو يقول:

- عفوًا يامولانا الخليفة ولكنني أعلم مدى انشغالك وحجم أعبائك وفقك الله وأعانك.

الخليفة: إن لم أكن مخطئًا فإنك مهموم بعض الشيء.

د/ صـادق: لقـد وفَّـرت عـليَّ فراسـتك الكثـير يامولانا الخليفة.

بدا الاهتمام واضحًا على وجه الخليفة فأردف قائلًا:

- تكلم يا دكتور صادق هات ما عندك.

د/ صادق: لقد جئت إليك وكلِّي أمل في عقلية العالِم التي تحملها، وكلِّي رجاء في مساعدتك وتدخلك الشخصي.

الخليفـة: تكلـم يا دكتـور صادق إنك من أهـم رموزنا العلميـة وكل كلمـة تنطق بها هي مصدر ثقة لاشـك بها، بدا على وجه الدكتور صادق مظاهر الاطمئنان وأردف قائلًا:

- أشـكرك يامولانـا الخليفـة ثـم بـدأ يقص عليـه قصة شهاب وما جاء من أجله والمساعدة التي يريدها منه، صمت الخليفـة برهـة من الوقت وبـدا خلالها شـديد التركيز قبل أن يردف قائلًا:

- بالرغـم مـن أن مـا تقوله يصعب عـلى الكثير تصديقه إلا أننـي كعالم أثـق بما تقول يا دكتور صادق، تهللت أسـارير الرجل وأردف قائلًا بانفعال:

- لا أستطيع أن أعبر عن مدى امتناني لك ياملانا الخليفة.

ابتسم الخليفة بود قائلًا:

- ولكن هل رأيت بنفسك هذا الجهاز الذي يتنقل به ذلك الرجل عبر الزمن وفحصته بنفسك؟

د/ صادق: لم يمهلنا رجال الأمن القومي فلقد داهموا منزلي وأخذوا الرجل معهم وكما ذكرت لك يا مولانا الخليفة أن الوقت ليس في صالحه فلم يتبق الكثير منه قبل أن يتفتت جسده ويتحول إلى فوتونات ضوئية ويتلاشى للأبد.

الخليفة: أن أمر كهذا كان لابد أن أعرضه أولا على عدة لجان علمية وعسكرية واستخباراتية ثم أحوله على مجلس الشورى الإسلامي ثم أبت فيه بعد ذلك ولكن الأمر كما قلت أنت يحتاج تدخل شخصي مني ثم أشار بيده وعلى الفور ظهر أحد رجال قصر الخلافة وأدى التحية العسكرية بقوة وثبات وصاح قائلًا «العزة لله ولرسولة ولخليفة المسلمين» فخاطبه الخليفة قائلًا:

– اتصل بجهـاز الأمن القومي واعطهم أمرًا من الخليفة بالإفراج فورًا عن شـخص يدعى شـهاب محمـود، ثم أعطى أمـرًا مماثلًا للقوات الجوية بـأن يجهزوا إحدى مقاتلات صقر قريش– ٧٦ في مهمة رئاسية عاجلة.

الرجل: سـمعًا وطاعـة يامولانا الخليفة، ثـم انطلق ينفذ تلك الأوامر بعد أن أدى التحية العسكرية، لم يتمالك الدكتور صادق نفسه من الفرح فهب واقفًا وهو يقول:

– لَكَمْ أنا فخورًا بك يامولانا الخليفة، وهنا نهض الخليفة احترامًا وإجلالًا للدكتور صادق ولكبر سـنه وهو يقول بود: اجلس يا دكتور صادق لا ترهق نفسـك، وجلسا الاثنين معًا وأردف الخليفة قائلًا:

– لا داعـي للشـكر لم أفعل شيء إلا عـن اقتناع فلا مجال للمجاملات والمحاباة في مؤسسة الخلافة فمنذ الوحدة العربية الكبرى وتطبيق الشريعة الإسـلامية وجميع مؤسسات الدولة ومن ضمنها مؤسسة الخلافة تخضع لقوانين الشريعة وتراقب «مشـيخة الإسلام» تطبيق نصوص الشريعة الإسلامية بحزم وصرامة، فلا مجال للاستبداد والفساد، ثم أردف قائلًا بقوة:

- إننا لن نسمح مطلقًا بأن تعود عقارب الساعة للوراء وقت أن كانت الشعوب العربية تعاني من الجهل والفقر والمرض تنهب ثرواتها وتحتقر أرادتها وتعيش عيش العبيد فوق أراضيهم يسومهم سوء العذاب العملاء والجبناء من بني جلدتنا من صنائع اليهود والأمريكان وصدق رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين قال: (وكما قلت لك أن موضوع التنقل عبر الزمن هذا بعيد عن ذهن الكثيرين ولن ينقذني من العزل سوى أن يرى الجميع صقر قريش ٧٦ وهي تخترق حاجز الزمن أمام أعينهم وألا سيوجه لي تهمة استغلال النفوذ والفساد وسيقوم شيخ الإسلام بعزلي.

دكتور صادق: تأكد يامولاتنا الخليفة أن ذلك سيحدث وسيراه الجميع أمام أعينهم وسيسجل لك التاريخ ما قمت به من أجل شعوبنا المضطهدة في هذا الزمن البائد لا أرجعه الله.

غادر شهاب مبنى جهاز الأمن القومي متنكرًا في ذي أحد الحراس ومعه مسدسه الليزرى وبينما هو سائر يفكر

كيـف سـيصل لمكان العرض العسـكري إذ بصـوت يأتي من خلفه مباشرة وينادي عليه باسمه فالتفت لمصدر الصوت فإذا به علاء، انتابت شهاب الدهشة وبدأت الشكوك تساوره من هذا الشاب؟ هل انكشف أمره؟ وماذا يفعل في مكان مفتوح كهـذا، إنه لـو تحرك أية حركـة عدائية سـيصاب بدفقات من أشـعة الليزر ثم ينكشـف أمره وهـو لازال على بعد خطوات مـن مبنـى جهاز الأمن القومـي ماذا يفعـل؟ وقف للحظات صامتًا يعتصر ذهنه ليجد حلًّا، إلا أن الحل قدمه له علاء حين قال: إنك لا تعرفني يا شهاب، ولكنني أعرفك جيدًا ويكفي أن أقول لك أنني علاء الذي بالتأكيد قد قصت عليك سلوى حكايته معها، وقبل أن تخطئ الفهم فأنا هنا لمساعدتك، فلقد علمت عنك كل شيء، بالطبع لا أسـتوعب فكرة التنقل عبر الزمن تلك ولكن سأسـاعدك على أية حال ولـ..... قاطعه شهاب قائلًا: ولم أثق فيك؟

عـلاء: نحن لازلنا أمـام جهاز الأمـن القومي ولحظات قليلة قبل أن يكتشـفوا هروبك، ثم أنه لا خيار لك سـوى أن تثق بي، كان علاء على حق فلم يكن لشهاب أي خيار آخر.

شهاب: وهو كذلك ولكن أعلم أن الوقت.....قاطعه قائلًا نعم أعلم أنه ليس في صالحك ثم أشار إليه قائلًا: إذًا هيا بنا، وركبا السيارة وانطلقا.

شهاب: أريد أن أذهب لمكان العرض العسكري.

علاء: حسنًا.

شهاب: أخبرني لماذا تساعدني؟

علاء: لأنني أحب سلوى وهي تحبك و..... قاطعه قائلًا:

- اسمع يا علاء، إنني لا أنتمي لهذا العصر، وبالتالي لا أنتمي لأحد فيه، سلوى فتاة رقيقة وجديرة بالاحترام، فكن على مستوى الارتباط بها هذا لو أن حبك لها حقيقي، التفت إليه علاء وأحس وكأن جبال الأرض قد انزاحت من فوق صدره وهو يقول بانفعال: هل حقًّا لا تحبها؟ هلـ.....قاطعه شهاب: كما قلت لك، أصلح من شأنك وستكون جدير بها، وأتمنى لكما التوفيق والسعادة، نظر إليه علاء وقد تهللت أساريره وأردف قائلًا: أشكرك يا شهاب إنني مدين لك بـ..... قاطعه شهاب وهو ينظر للطريق أمامه:

– لست مدين لي بشيء بل أنا الذي أدين لك الآن، وتأكد أنك تقوم الآن بشيء عظيم ستفخر به يومًا ما.

عـلاء: ولكـن بـما تفكـر ولمـاذا الذهـاب للعـرض العسكري؟

أجاب شهاب ممازحًا: أهوى مشاهدة الطائرات.

علاء: ماذا هلـ..... قاطعه شهاب: هل اقتربنا؟

عـلاء: لقد وصلنا بالفعـل ولكن اشرح لي كي أتمكن من مساعدتك.

شهاب: لا أريد توريطك في شيء ربما لا أنجح.

عـلاء: لا تخـف أنني.....قاطعـه شـهاب: كل مـا أطلبه منـك أن تنصرف فورا بعـد أن تنزلني من السـيارة وتنسـى الموضـوع تمامًا. حـاول علاء أن يتكلم لكن شـهاب بـادره قائلًا: تلـك هي مسـاعدتك لي ثم ودعه وشـكره نزل شـهاب مـن السـيارة ولم يجـد صعوبـة وهـو بهـذا الـذي أن يدخـل إلى مـكان العـرض العسـكري الـذي كان يعـج مـن الداخـل بالعسـكريين والمدنيين على حد سـواء وكان الجميع في انتظـار العرض العسـكري الذي لم يبدأ بعد تقدم شـهاب

نحو أحد العسكريين وسأله عن مدرج الطائرات فأشار إليه في أحد الاتجاهات فالتفت شهاب إلى حيث أشار الرجل فإذا بالطائرات تقف على أرض المدرج بأشكالها وأنواعها المختلفة وحولها عدد من الفنيين يتفحصونها قبل الإقلاع للمشاركة في العرض أسرع شهاب نحو المدرج وهو يتذكر ما قاله الدكتور صادق عن القدرات الخرافية لمقاتلات سلاح الجو العربي في هذاالعصر وتذكر أيضًا ما قرأه بالجريدة عن مشاركة مقاتلات من طراز صقر قريش – ٧٦ في العرض دار كل ذلك في ذهنه إلى أن اقترب من أحد الطيارين فسأله عن قائد سرب مقاتلات صقر قريش ـ٧٦ فأجابه بأنه العقيد طيار / محمد فوزي وأشار إلي مكان تواجده مع باقي أفراد السرب وعلى الفور ذهب شهاب لأحد دورات المياه وخلع زي الحارس الذي كان يرتديه واحتفظ بمسدس الليزر ووضع على صدره «كارنيه» جريدة الحرية الذي أعطته له سلوى، حين كان على وشك العمل معها بالجريدة، وهنا شعر بشجن وحزن يعتصران قلبه عندما تذكر ذاك الملاك الرقيق سلوى، وأنه لن يراها ثانية إلى الأبد، إنه لن يتمكن حتى من توديعها، فلكم يشفق عليها مما سيصيب قلبها من

لوعـة حين تعرف قصته، وذلك بعـد أن تأكد من حبها له ولم يلبـث أن انتـزع نفسـه من شـجونه وآلامه وتوجـه إلى حيث أشـار طيار المسـتقبل نحو إحـدى البنايات التـي تقع بجانب مـدرج الطائرات وتقدم شـهاب نحو أحـد الجنود الذي كان يقف لحراسـته وبادره شـهاب بالحديث قائلًا: شهاب محمود مصـور صحفي بجريـدة الحرية وأريد مقابلـة العقيد / محمد فوزي.

الحارس: لا وقت لذلك فسيادة العقيد مع باقي الطيارين في تلقينهم الأخير قبل الإقلاع.

شـهاب: فقط سـآخذ صـورة جماعية لهم قبـل أن ينطلقوا ستكون صورة ا لغلاف غدًا ولن أزعج أحد أعدك بذلك.

لم يتعنت الحارس وسـمح له بالدخول وشـكره شـهاب في عجالـة وهو يدلـف للداخل وما إن فعـل حتى لمح ببصره مجموعـة مـن الطيارين بملابـس القتال يلتفون حـول العقيد محمـد فـوزي وكان يعطيهـم تعليماتـه الأخـيرة قبـل الإقلاع بمقاتلاتهـم وكانوا على درجة عالية من التركيز بحيث لم ينتبه أحد لوجوده وفور انتهائه اندفع شـهاب نحوه قائلًا: شهاب

محمود من جريدة الحرية هلـ.....قاطعه العقيد / محمد فوزي وهو يغادر المكان قائلًا لا وقت لذلك يا أستاذ شهاب سنقلع الآن ثم وجه أوامره لطياريه قائلًا: ٦ دقائق من الآن ويكون الجميع أمام مقاتلاتهم ثم غادر المكان ووراءه عدد من الطيارين ولم يبقى سوى أربعة طيارين أخذوا يتفحصوا ملابسهم ومعداتهم للمرة الأخيرة ولم يكترث أحد بشهاب على الإطلاق وقد بدأوا يخرجون الواحد تلو الآخر إلى أن كان الأخير فلحق به شهاب والح عليه في إعطائه كلمة قبل الإقلاع ونجح شهاب في استوقافه للحظات وما إن تأكد أن المكان خلى تمامًا إلا منهما حتى استل مسدس الليزر وما أن رأى الطيار ذلك حتى سارع هو الآخر إلى مسدسه الليزري المثبت أمام صدره ولكن شهاب وبسرعة البرق عاجله بلكمة بين حاجبيه أفقدته الوعي في الحال قائلًا بتأثر: عذرًا يا أخي فلأمر جدير ببعض المعاناة ثم نزع ملابسه وارتداها وكان من حسن الحظ أن جسد الطيار مقاربًا لجسده ثم غادر المكان بعد أن قيد الرجل وأخفاه داخل أحد دورات المياه ثم اندفع للخارج قاصدًا مدرج الطائرات، وأخذ يسرع والطائرات تقترب منه شيئًا فشيئًا، وبدأ الحلم يتحقق شيئًا

فشـيئًا وفجـأة وعلى غير توقع أحس شـهاب بشيء ما يضغط عـلى ظهره وصوت مألوف يقـول: تحرك معي بلا أي مقاومة وإلا سـأطلق عليـك النار ألتفت شـهاب إلي مصدر الصوت وكادت الأرض تـزول من تحت قدميه حين رأى ذلك المتنمر أو الرجـل المطرقة كـما يطلقون عليه في جهـاز الأمن القومي العـربي أنـه الرائـد / صلاح المنـوفي يقف وعـلى وجهه بدت ابتسـامة ساخرة وهو يقول لما العجلة يا أستاذ شهاب أن كان هذا هو اسمك الحقيقي أننا لم ننهي حديثنا بعد؟

وأخـذ ينظر لشـهاب بنظـرات متهكمة يملؤهـا الغرور وكانـت تلـك هي أصعـب لحظات مر بهـا شـهاب في حياته فهاهـو عـلى بعد عـدة خطوات مـن تحقيـق حلمه ثم تنشـق الأرض فجأة عن هذا الرجل ليحول هذا الحلم إلى «كابوس» بضعة خطـوات ويتمكن من التصدي لحقد وحشي «همجي» ذبـح الأطفال والشـيوخ وافـترس النسـاء في شـوارع بغداد والبـصرة والموصل وبـدأت عقارب السـاعة لا تتحرك وبدا الزمـن عاجزا عن التقدم هل يمكن للمسـتقبل الموشـك على إنقاذ ماضيه التعس من بؤسـه وشـقائه هو نفسـه من يسـلمه

لجلاديه؟ هل يمكن أن تكون تلك هي النهاية؟ وفجأة وبدون مقدمات وبلا سابق إنذار وكما ظهر هذا الكابوس فجأة ترنح أيضًا فجأة، وأطاحت به ضربة قوية من أحد سواعد المستقبل ليتلقى صاحب هذا الساعد بدوره عدة دفقات من أشعة الليزر مرسلة عبر الأقمار الصناعية من خلال شبكة الردع الفضائي ولم يكن الفاعل يجهل ما سيحدث له بل كان يعرفه جيدًا كما يعرفه كل سكان هذا العصر ولكنه فعل ما فعل عن قناعة تامة ورضا عن النفس وإحساس بالفخر بها كانت عقارب الساعة قد عادت للحركة مرة أخرى ولكنها بدت لشهاب تقفز هذه المرة تعويضًا لما فاتها في فترة السكون وشهاب ينظر بانفعال وبتقدير وامتنان بالغين إلى علاء الذي تمدد بجسده وبجواره تمدد الكابوس تمدد الرائد/ صلاح المنوفي!

انطلق شهاب نحو الطائرات المستقرة على أرض المدرج بعد أن ارتدى خوذة القتال التي أخفت وجهه تمامًا وكان العقيد/ محمد فوزي يجمع طياريه وهنا انضم شهاب إليهم وانتظم الطيارون التسعة في صف واحد أمام قائدهم الذي أخذ يلقنهم تعليماته الأخيرة قبل الإقلاع مباشرة ثم توجه

الجميع إلى طائراتهم وصعد شـهاب لأحدى مقاتلات سلاح الجـو العـربي من طـراز «صقـر قريـش ـ٧٦» وداخـل كابينة القيـادة كان يوجـد عدد كبيرة مـن الأزرار بألوان مختلفة وقد أخـذ كل زر رقمًا معينًا أخذ شـهاب يتحسـس تلـك الأزرار وأمسـك بعـصى القيـادة وجاءه عـبر جهاز الاتصـال صوت قائـد السرب العقيـد / محمد فوزي متحدثا بلهجة عسـكرية صارمـة: من القيادة إلي صقر ٩ سـنقوم بتشـكيل هرمي أبقى في الميسرة. شهاب وقد تقمص شخصية الطيار: علم وجاري التنفيذ ثم سحب عصى القيادة للخلف فارتفعت الطائرة عن الأرض وفي اتجاه عمودي تمامًا عليها بكل سـهولة وسلاسـة ثم دفع عصى القيادة للأمام بشـكل تدريجي فاندفعت الطائرة للأمام أخذ شـهاب يدفع عصى القيادة أكثر فأكثر حتى نهايته وهنا انطلقت الطائرة بسرعة خرافية وبالرغم من هذه السرعة المذهلة ألا أن شـهاب لم يتأثر جسده وذلك بفضل «الكابينة» المزودة بأجهزة إعاشـة لمعادلة تأثيرات الضغط والسرعة على أجساد الطيارين ثم ضغط شهاب أزرار ساعة يده وهو يقول بشجن:

– وداعًا أيها المستقبل الجميل، وداعًا ياسلوى.

ثم تحولت الطائرة إلى حزمة كبيرة من الضوء قبل أن تختفي فجأة عن الأنظار وكأنها اخترقت الهواء ونفذت منه واختفت خلفه وهنا انهمرت الدموع بغزارة من عيني سلوى التي كانت تراقب ما يحدث بلوعة وكان بجانبها هالة وزوجها الدكتور مراد وكان يجلس في منصة العرض الرئيسية بجانب الخليفة وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي الدكتور صادق عز الدين الذي انفعل بما رأي وهو ينظر للسماء وقد أغرورقت عيناه بالدموع لدرجة أنه لم يشعر بيد الخليفة وهي تربت على كتفيه بود، في حين انفعل أحد أعضاء مجلس الشورى الإسلامي وكان العضو رقم ٧٦ وكان عن ولاية الأندلس انفعل بشدة وهو يقول:

- أرحمني يا إله السموات، ثم وجه حديثه للدكتور صادق وهو يقول بانفعال: ما هذا الذي رأيناه يا دكتور؟ رد دكتور صادق ولازال بصره معلق في السماء:

- إنه العدل يا ولدي، ذهب يلقن الظلم درسًا ثم صمت لبرهة قبل أن يردف قائلًا: درسًا سيكون شديد القسوة.

في حـين حاول مـراد وهالة أن يهوّنا الموقف على سـلوى التـي لازالت متعلقة ببصرها في السـماء فقالـت هالة: لكِ أن تشـعري الآن بالسعادة والرضا يا سلوى فلولا مساعدتك له لما استطاع فعل أي شيء.

ظلت سـلوى صامتة لا تتكلم وبصرها معلق في السـماء قبل أن تردف قائلة بصوت يحمل كل معاني الأسى واللوعة: السـعادة..! ثم صمتت ثانية للحظات قبل أن تغمغم بشرود يجب أن أنسى تلك الكلمة للأبد.

٧- صقر قريش ٧٦..

بمقر قيادة هيئة الأركان المشتركة لقوات التحالف الجوية بالكويت وقف الجنرال الأمريكي ديرتي بوش أمام لوحة الكترونية ضخمة يظهر عليها ٥٧٠ طائرة حربية ما بين قاذفات ثقيلة ومقاتلات قاذفة ومقاتلات اعتراضية ومروحيات مقاتلة وطائرات شحن وتموين وامداد بالوقود في الجو وكانت متوجهة كلها صوب العراق أخذ هذا الديرتي ينظر إلى اللوحة وقد بدت على وجهه ابتسامة صفراء مقيتة وهو يردف لمن حوله قائلًا: من يراهنني أنني سأشرب الشاي العراقي بقصر الرئاسة غدا ببغداد؟ ضحك جميع من سمعه في حين أردف الجنرال البريطاني وليم سليفر: ولكنني لا أستطيع أن أستبدل شاينا الإنجليزي أين كان الوضع عزيزى جنرال بوش ضحك بوش قائلًا: فلتشربه من أي جنسية ياوليم شريطة أن يكون ذلك بقصر الرئاسة ببغداد ثم وجه بوش حديثه لأحد العسكريين ممن كانوا بجانبه بمزيج من الود وإن شئت قل التدليل: كيف حال طيورك اليوم عزيزي إلياهو؟ أجاب إلياهو بن صهيون قائد سلاح الجو الإسرائيلي

بـكل غرور الدنيـا: تعلم أنها دوما الـذراع الطويلة في المنطقة ياجنرال ضحك بوش بشراسة وهو يقول: بالطبع يارجل أنها كذلك وستبقى للأبد هكذا أنها ذراع أمريكية يارجل.

إلياهو: ولكن هل لي أن أسـأل سـؤالًا وإن بدا مضحكًا بعض الشيء؟

بوش: على الرحب والسعة ما الأمر ياعزيزي؟

إلياهـو: هل هناك احتمال لظهور أي مقاتلات عراقية في سماء المعركة؟

وهنـا ضحـك بـوش وجميع من سـمع إلياهو ثـم أردف بوش قائلًا: أنه بالفعل سـؤال مضحك ياعزيزي ثم اكتسـى صوتـه بنبرة إجراميـة وهو يقول ولكـن: إن ظهر ما تتحدث عنـه فلن يبقى الأمر مضحكا بل سـيصبح مثيرا للشـفقة. ثم أشـار لأحد معاونيـه الذي تحرك لمنتصـف الغرفة التي كانت تعـج بالعسـكريين من عـدة جنسـيات وكان النصيب الأكبر للأمريـكان والإنجليـز واليهود والأسـتراليين وصاح قائلًا: انتبـاه!!! سـيادة الجنـرال القائد العام سـيلقي كلمـة قبل بدأ العمليـات وهنا انتبـه الجميع وتعلقت الأبصـار بهذا الديرتي

وهو يقول بمزيج من الصلف والغرور وهوس القوة: من أجل الخير والعدل والمساواة.....من أجل مبادئنا الأمريكية....من أجل شعبنا الأمريكي.....من أجل رفاهية شعبنا الحر.....فلتبدأ العمليات وصفق الجميع وبدا مزهوا بنفسه كمن غزا العالم بأسره ثم التقط جهاز الاتصال وتحدث بكل إجرام الدنيا قائلًا: إلى أبنائي بأعلى بلا رحمة بلا شفقة انقضوا على أهدافهكم حتى يعرف العالم من أنتم حتى يعرف العالم أنكم أمريكيون. وكان البنتاجون قد قرر ضرب بغداد والبصرة والموصل برؤوس نووية لإيهام العالم أن العراق كان يخفي هذه الأسلحة وبطريق الصدفة وأثناء القصف تمت أصابتها

أجاب الميجور هاري جونسون قائد سرب قاذفات بغداد وكان على ارتفاع مئة ألف قدم فوق بغداد قائلًا: علم وجاري التنـ.....ثم بتر عبارته فجأة وأخذ يصرخ بذهول: ماهذا؟ من أين أتت هذه الـ.....ثم اختفي صوته عبر جهاز الاتصال واختفت معه طائرته للأبد وصعق جميع من شاهد ذلك في حين أخذ ديرتي بوش يحدق بذهول باللوحة

الإلكترونيـة التـي اختفي من عليها راعي البقـر وطائرته منذ لحظـات في الوقت الذي صـاح أحد ضباط المراقبـة قائلًا: يا إلهـي لقد تم إسـقاط الـــ..... وهنـا قاطعه ديـرتي بوش بشراسـة وصاح بعنـف قائلًا: أصمت أيها الأحمق لا تسـطيع قوة B -52 LS في الوجود إسقاط الـ

إنها فخر ترسـانتنا الجوية ولابد من وجود خطأ ما هنا أو هناك و.....ثم بتر عبارته فجأة واكتست ملامحه بمزيج من الرعـب والذعر وهـو يرى وأمام عينه ثـلاث قاذفات أخرى تختفـي من على شاشـة الرصـد دفعـة واحدة فلم يسـتطع أن يتمالك نفسـه وصاح بهلع: ماهذا بحق الشـيطان؟ ماذا الذي يجـري بأعلى؟ وهنـا صاح ضابـط مراقبة آخر قائـل بذهول: يـا إلهي لقـد اختفت تسـع مقاتلات إف- ١٦ دفعـة واحدة، ولم نسـجل أي أهـداف معادية، ولم يسـتطع إلياهـو أن ينتظر أكثـر مـن ذلك، فاندفـع نحو ديرتي بـوش وانتـزع منه جهاز الاتصال، وأخذ يصرخ بالعبرية بشـكل هستيري قائلًا: نداء إلى جميـع طياري جيش الدفاع، انسـحب فورًا وعد للقاعدة، أكرر انسحب فورًا وعد للقاعدة.....

وكان شهاب قد تخطى حاجز الزمن بالمقاتلة صقر قريش ٧٦ وإذا به أمام ٥٧٠ طائرة حربية من مختلف الطرازات قاذفات بي – ٥٢ وأف – ١١٧ (المعروفة بالشبح) ومقاتلات ميراج ٢٠٠٠ وأف–١٦ والجكور والتورنيدو ولما كانت صقر قريش – ٧٦ مصنوعة من مواد لا يعرفها عصرنا الحالي فلم تستطع أجهزة الرصد بما فيها الأقمار الصناعيه أن تكتشف وجودها وعلى الفور بدأ شهاب العمل وضغط أحد الأزرار فإذا بشاشة تظهر أمامه وقد تم رصد هذا العدد الضخم من الطائرات عليها وبألوان مختلفة حسب سرعة كل طائرة ومستوى تسليحها وتم أيضًا تمثيل صقر قريش –٧٦ بنقطة تختلف من حيث اللون والحجم عن باقي النقاط الأخرى وأخذ شهاب يحرك عصى القيادة يمينا وشمالا وفى مختلف الاتجاهات فإذا بطائرته تتحرك بسرعة مذهلة وبدت النقاط الأخرى ثابته لاتتحرك من شدة البطء ومما زاد من الكفاءة القتالية لصقر قريش– ٧٦ أنها تستطيع أن تبلغ سرعتها القصوى انطلاقا من السكون وأن تتوقف فجأة وهي منطلقة بهذه السرعة مما يعد خرقا لجميع قوانين الطبيعة في هذا العصر وبهذه القدرات الخرافية وبأشعة الليزر التي ما أن تصطدم

بأي جسم ما حتى ترفع درجة حرارته إلى ٥٠٠٠ درجة مئوية وتحوله إلى رماد انقض شهاب على طائرات الشيطان وأخذ في محوها من الوجود، وداخل غرفة العمليات ومن على شاشة الرصد المركزية شاهد الجميع تلك المذبحة لفخر ترسانات الغرب من قاذفات ومقاتلات انطلقت كلها لذبح شعب أعزل، وفي أقل من ٣٠ دقيقة اختفت طائرات الشيطان..... اختفت من الوجود وإلى الأبد بعد أن تحولت إلى رماد تذروه الرياح، وانتاب الجميع حالة من الرعب والهلع، وبالرغم مما هو معروف عن البرود الإنجليزي إلا أن الجنرال البريطاني وليم سليفر لم يستطع تحمل تلك الخسائر المروعة في صفوف طائرات وطياري جلالة الملكة فأصيب بأزمة قلبية نقل على أثرها للعلاج بأحد المستشفيات العسكرية بالكويت في حين تسمر ديرتي بوش أمام لوحة الرصد التي أصبحت خالية تمامًا من أي طائرات وبدا كمن يفق عقله بالتدريج وهو يحدق بها بذهول ولم يضف إليه جديد حين صرخ أحد ضباط الاتصال قائلًا: سيدي الجنرال لقد تم إغراق حاملات الطائرات «تيودور روزفلت» و«هاري ترومان»، فلقد فقد الرجل السيطرة تمامًا بحيث جثا على ركبتيه وأخذ في البكاء

بشكل هستيرى وقد دفن وجهه بين راحتيه في حين اندفع إلياهو نحوه وجذبه من ذراعه بعنف وهو يصرخ في وجهه: أفعل شيئًا أيها الحقير لقد أكدتم لنا أننا لن نصاب بأية خسائر وأننا لنـ....ثم بتر عبارته فجأة على أثر شهقة أطلقها أحد العسكريين بجواره قائلًا بكل رعب الدنيا: ياإلهي الشيطان وحده هو الذي يستطيع فعل ذلك قال ذلك وهو يشير بيده لأحد الشاشات التي التقطت عن طريق الأقمار الصناعية مشهدا خرافيا لم يكن يتوقع إلياهو أن يرى مثله حتى في كوابيسه فلقد رأى وأمام عينه أحدى حاملات الطائرات التي ترفع العلم الأمريكي وهي تشطر إلى نصفين قبل أن تختفي فجأة وكأنها تبخرت في الجو وقف مذهولًا غير مصدق لما رآه، ولم ينتزعه من هذا الذهول سوى صوت طلقة مدوية أطلقت بالقرب منه ليلتفت الجميع ويجدوا ديرتي بوش قد أطلق النار على رأسه مباشرة لتنفجر في مشهد مقزز أصاب الجميع بالغثيان وبات مؤكدًا أنه لن يشرب الشاى العراقي أبدًا لا في قصر الرئاسة ببغداد ولا في أي مكان آخر ولكنه حتمًا سيتجرع الكثير والكثير في الجحيم.

٨- هوليود تنتصر دائمًا..

امتلأت إحدى قاعات البيت الابيض الأمريكي بالصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء، وكان الجميع في انتظار جيمي ليدر المتحدث الرسمي باسم البيت الأبيض والذي سيلقي بيانًا حول الحملة العسكرية للجيش الأمريكي في العراق، وفور ظهوره انطلقت عشرات الكاميرات تلاحقه بالتصوير إلى أن استقر أمام حشدًا من الكاميرات التليفزيونية وبدأ حديثه بتهنئة الشعب الأمريكي على الانتصار الساحق الذي حققه أبناؤه في العراق من أجل تحرير الشعب العراقي وتطبيق الشرعية الدولية، وإنقاذ البشرية من أسلحة الدمار الشامل التي كانت بحوزة النظام العراقي ثم أشاد بالضربات الجوية الشديدة الفاعلية، كما أطلق عليها، والتي نجحت في تدمير القدرات العسكرية لهذا النظام الإرهابي كما وصفه، وكيف أن مئة ألف جندي أمريكي اجتاحوا محافظات البصرة والنجف والموصل وكاربلاء وتكريت تلك المحافظات التي أخفى بها النظام العراقي أسلحته للدمار الشامل، وكيف

أن الجيش الأمريكي استطاع أن يعثر على هذه الأسلحة ويدمرها.

ثم استطرد قائلًا: وقد بدأت الحده تجد طريقها إلى صوته: لا شك أن كل من اعترضوا طريقنا وخرجوا في مظاهرات تندد بسياستنا، واتهمونا أننا نسعى لاحتلال العراق من أجل سرقة بتروله لاشك أنهم يشعرون الآن بالخزي والعار، ثم ازدادت الحدة في صوته بحيث بات يصرخ تقريبًا وهو يلوح بيده قائلًا: لقد كان لنا مئة ألف جندي في العراق ولم تكن لتستطيع قوة في الوجود إخراجنا منه لو قررنا البقاء، ولكننا وفور العثور على أسلحة الدمار الشامل وتدميرها أجد نفسي يملأني الفخر في كوني أمريكيًّا حين أعلن على العالم أنه لم يعد للولايات المتحدة الأمريكية الآن جندي واحد في العراق.

وهنا صفق الجميع وبدا فخورًا مزهوًّا بنفسه، وكأنه يصدقها، ثم أشار بيده لإحدى شاشات العرض التليفزيونية قائلًا: سترون الآن أيها السادة وعلى هذه الشاشة انتصارنا الساحق، وقد تم تسجيله لحظة بلحظة، ومنذ الدقيقه الأولى

للمعـارك وما أن أضاءت الشاشـة حتـى رأى الجميع أهدافًا عراقية تم تصويرها بواسـطة الأقـمار الصناعية وهي تقصف مـن قبل المقاتـلات والقاذفـات الأمريكية، ومشـاهد أخرى تظهـر فيها المدمـرات والقطع البحرية الأمريكيـة وهي تقوم بقصف أهدافًا لها داخل العراق، ومشاهد أخرى لمعارك برية شرسة تقوم فيها الدبابات الأمريكية بإصابة أهدافها والفتك بها، ومشاهد أخرى لآلاف الجنود العراقيين وهم يستسلمون للقـوات الأمريكيـة والجنـود الأمريـكان يقدمـون لهـم الماء والطعام، وكان نصيب الأسـد من هذه المشـاهد هي مشـاهد الاستقبال الحافل من قِبَل الشعب العراقي للقوات الأمريكية، وكيف اصطف الناس في الشـوارع وعلى أسـطح المنازل وفي الشرفات يهللون ويرفعون الأعلام الأمريكية ابتهاجًا بقدوم قوات التحرير، كل المشاهد كانت حقًّا رائعة ولم يكن ينقصها أي شيء، فقط لم يكن ينقصها سـوى الحقيقة، نعم لقد كانت كل تلك المشـاهد ما هي إلا مشـاهد سـينيمائية تم إنتاجها في هوليـود وبأوامـر مباشرة من البيت الأبيـض، فبعد ما حدث بغرفة العمليات بالكويت وبعد أن اختفت من الوجود ٥٧٠ طائرة وأربع حاملات طائرات وعدة مدمرات أمريكية لطالما

سفكت دماء الشعوب كاد الجميع في واشنطن أن يفقد عقله، ومن تمالك نفسه أقسم أن ما حدث إنما حدث بسبب هجوم فضائي من كوكب مجهول، وبالرغم من المحاولات المستميتة من قِبَل أجهزة السي آي آيه والأمن القومي ووكالة أبحاث الفضاء الأمريكية ناسا لمعرفة ما السبب وراء ما حدث، إلا أنهم فشلوا في ذلك فشلًا ذريعًا، وبالرغم من تقنياتهم المهولة والتي مكنتهم من أن يفحصوا كل شبر من قاع الخليج بحثًا عن أي حطام أو جثث أو بقايا جثث، إلا أنهم خرجوا في النهايه بعدة ملايين من علامات الاستفهام، ولكن وتحت أي ظروف لابد وأن تخرج الولايات المتحدة وجيشها منتصرًا ليس مجرد انتصارًا عاديًا، بل انتصارًا ساحقًا ولا يجب على الإطلاق أن يهزم رامبو وكوماندوا الأمريكيين وإلا كيف سيستعبد رعاة البقر الشعوب ويمتصون دمائها؟

وبأوامر مباشرة من البيت الأبيض تم اعتماد مبالغ ضخمة لإنتاج العديد وعلى الفور من المشاهد السينيمائية باستوديوهات هوليود الجبارة تكون من الدقة والإتقان بحيث تبدو أكثر حقيقة من الحقيقة نفسها، وبجيش جرار من

المخرجين والممثلين والمؤلفين والخبراء العسكريين ومصممي المعارك الحربية خرج الأمريكان على العالم بانتصارهم الساحق، ليرى العالم العراقيين رجال ونساء شيوخ وأطفال وهم يستقبلون القوات الأمريكية بالأحضان رافعين الأعلام الأمريكية وصور الرئيس الأمريكي، وتولت محطات إذاعية عملاقة مثل السي إن إن، والبي بي سي مهمة تلقين وتحفيظ شعوب العالم بما فيهم الشعب الأمريكي نفسه هذه المشاهد التي باتت تعرض ليل نهار، حتى أصبح كل كائن حي على سطح هذا الكوكب يقسم بأن الولايات المتحدة انتصرت انتصارًا ساحقًا، وأخفى الأمريكان تمامًا أي دلائل تشير من قريب أو بعيد على ماحدث لهم بغرفة العمليات بالكويت، فلقد تحفظت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية السي أي أيه على جميع العسكريين ممن كانوا موجودين بغرفة العمليات بالكويت وأودعتهم مكانًا مجهولًا وتم إخبار ذويهم بأنه سقطوا شهداء للمبادئ الأمريكية ثم أرسلوا لهم الأوسمة والنياشين، وبالرغم من أن الجينرال الإنجليزي وليم سليفركان قائد سلاح الجو البريطاني وابن أخت ملكة إنجلترا، إلا أن هذا لم يحول بينه وبين عملاء السي أي أيه، حيث

قامـوا بتصفيتـه، وذلك بعـد أن فكر بصـوت مرتفع مع أحد الصحفيين بجريدة التايمز عما حدث بداخل غرفة العمليات بالكويـت، أما إلياهو بن صهيون فلم يكن الرئيس الأمريكي ليجـرؤ على مجرد التفكير في جرح مشـاعر عاهـرة إسرائيلية، فما بالـك بقتل أحد جنيرالات إسرائيـل وعليه فقد تم إلحاق إلياهـو بالسـفارة الإسرائيلية بواشـنطن للعمل بهـا كملحق عسكري وذلك حتى يكون تحت الرقابه المباشره لجهاز الأمن القومي الأمريكي، وهكذا اختفت كل معالم للحقيقه وخرج جنرالات البنتاجون على العالم وهم يتقلدون الأوسمة تقديرًا لبطولاتهـم في الدفـاع عن الحـق والعدل والمسـاواة، نعم لقد اسـتطاع الأمريكان بكفائتهم المعهـودة في الكذب والتضليل أن يخفوا ما حدث، ولكنهم أبدًا لم يستطيعوا أن يعرفوا سبب ماحدث، شخص واحد يعرف... شخص واحد تبدوا عنده الحقيقة سـاطعه سـطوع الشـهاب على صفحة السـماء في ليلة غاب عنها القمر أنه شهاب.

بأحـد شـوارع العاصمـة العراقيـة بغداد عمـت الفرحة والسرور كل ركن من أركانه، وانعكس ذلك على المارة الذين أخـذوا يعانقون بعضهم البعض وقـد أطلقوا العنان لقبلاتهم الحارة على الوجنات الباسمة، فالضحكات انطلقت من أعماق القلب، والابتسامات العذبة ملأت الوجوه، الأطفال والكبار الرجال والنساء الجميع ذاب في حالة من السعادة والنشوى لا مثيل لها، تلك السعادة التي تشبع بها الهواء بحيث بات يتنفسها الجميع، أخذ أحد المارة يشق طريقه وسط الجموع الغفيرة التي امتلأت بها الشـوارع والسعادة تغمره حتى النخاع، فلقد كان أسعد من أي شخص آخر، وكان كلما جال ببصره هنا أو هناك وجد السـعادة والفرحة وقد تجسـدت في أقوى معانيها، فكان يزيد ذلك من مقدار السعادة التي اجتاحت كيانه كالإعصار، وبينـما هو كذلك إذ برجل ينقـض عليه معانقًا إياه، وقد جذبه داخل أحد المحال ليجد نفسه داخل أحد المطاعم وفي استقباله وبابتسـامة تخرج من أعـماق القلب صاحب المطعم وهو يقول بلهجة عراقية أصيلة:

– تفضـل يا أخي فالطعام والـشراب بالمجان ولمدة ثلاثة أيـام، شـكرًا لله عـلى قهره للأمريـكان، ثم تحـول الرجل عنه

وأخذ في استقبال غيره بنفس الحفاوة ونفس العبارات حتى امتلأ المكان عن آخره، وداخل المطعم وقف شهاب مبهورًا بما يحدث حوله، وفجأة تسمرت عيناه أمام أحد المناضد وكانت تجلس فوقها طفلة رقيقة ذات الثلاث سنوات مع أمها وأبيها، والسعادة تملأ كيانهم واغرورقت عينيه بالدموع وهو يقترب شيئًا فشيئًا ليجد الطفلة الصغيرة هي فاطمة تلك التي ذبحها المجرمون هي وأمها بقذائفهم وأبيها هذا الذي تطعمه بيديها الصغيرتين ألم يتمزق جسده وهو يحاول الفرار بها من قبل، التقطها وضمها لصدره بشوق بالغ والدموع تسيل على وجنتيه وسط تأثر الرجل وزوجته ثم أعادها لأمها بعد أن ربت الرجل على كتفه بود ودعاه للجلوس وتناول الطعام معهم إلا أنه غادر المكان بتأثر بالغ ليعبر الشارع الذي كان مليء قبل ذلك بالدماء والأشلاء وانطلق يركض ولم يلبث أن تحول إلى حزمة ضوئية اخترقت الهواء واختفت عن الأنظار بسرعة مذهلة متجهة نحو المجهول.

تم بحمد الله